



كتاب الجامع

باب الأدب

حقوق المسلم:

قال الله تعالى في شأن التحية: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِمَّا أُرْدُوهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦]، وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١].

وقال الله تعالى في شأن إجابة الدعوة: ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَقْسِمِينَ لِحَدِيثٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

ووصف الله تعالى عمل رسوله بقوله: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨] وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠].

وقال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَىٰ ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧] قال القرطبي بعد ذكره عدة أقوال في تفسير الآية: وَقِيلَ: الْكَلِمَاتُ قَوْلُهُ حِينَ عَطَسَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ». وقال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]؛ فالإحسان مُعَرَّفٌ بِ(ال) التي تفيد الاستغراق فيدخل في الإحسان المأمور به زيارة المريض واتباع الجنازة كما يستفاد ذلك بطريق مفهوم المخالفة من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

١٤٤٥ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدِ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»، رواه مسلم.



التوضيح:

- وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ: أي طلب منك النصيحة.
- فسمّته: يقال: سمّت العاطس وسمّته: إذا دعا له بالهدى وقصد السمّ المستقيم.

الدلالات الفقهيّة:

- ١ - في الحديث بيان لحقوق المسلم على المسلم، والمراد بالحق: ما لا ينبغي تركه، ويكون فعله إما واجباً، أو مندوباً ندباً مؤكداً شبيهاً بالواجب الذي لا ينبغي تركه، ويكون استعماله في المعنيين من باب استعمال المشترك في معنياه.
- ٢ - وظاهر الأمر في الحديث يدل على وجوب الابتداء بالسلام، إلا أنه نقل ابن عبد البر وغيره الإجماع أن الابتداء بالسلام سنة، وأن رده فرض، وأقل السلام أن يقول: «السلام عليكم»؛ وإن كان المسلم عليه واحداً، فهو يتناوله وملائكته، وأكمل منه أن يزيد: «ورحمة الله وبركاته»، ويجزيه: «السلام عليك»، و«سلام عليك».
- ٣ - فإن كان المسلم عليه واحداً وجب الرد عليه عيناً، وإن كان المسلم عليهم جماعة، فالرد فرض كفاية في حقهم^(١).
- ٤ - وفيه إجابة الدعوة، وقد سبق رأي الجمهور أن الدعوة إذا كانت إلى وليمة عرس تجب إجابتها، وإن كانت لغير وليمة العرس، فيستحب إجابتها.
- ٥ - وفيه دليل على وجوب نصيحة من يستنصح، وعدم الغش له، وظاهره أنه لا تجب نصيحة إلا حين طلبها، والنصح بغير طلب مندوب؛ لأنه من الدلالة على الخير والمعروف.
- ٦ - وفيه دليل على مشروعية تسميت العاطس، والظاهر ما ذهب إليه الظاهرية وابن العربي من أنه واجب على كل من سمع حمد العاطس، وهو ما رجّحه ابن القيم^(٢).
- ٧ - وفيه وجوب عيادة المريض المسلم، وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن عيادة المريض سنة مؤكدة، والراجح أنها فرض كفاية، وهو اختيار شيخ الإسلام^(٣)، وأما ما حكاه النووي من الإجماع على عدم الوجوب، فهو محمول على الأعيان^(٤).

(١) سبل السلام (٤/١٤٨).

(٢) زاد المعاد (٢/٤٣٧).

(٣) الاختيارات (ص ٨٥).

(٤) الفتح (١٠/١١٧).



٨- وفيه دليل على مشروعية اتباع الجنائز ودفنها والصلاة عليها، والجمهور على أنها فرض كفاية.
الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

الدين الإسلامي راعى الحقوق والواجبات وآداب التعامل بين الناس، فينبغي للمسلم أن يقوم بما عليه من الحقوق تجاه إخوانه، محتسباً الأجر في ذلك.

طريقة الاستدلال:

- ١ - قوله: «حَقُّ الْمُسْلِمِ»: قال الحافظ: (وقد تبين أن معنى الحق هنا الوجوب؛ خلافاً لقول ابن بطال من أن المراد حق الحرمة والصحة، والظاهر أن المراد به هنا وجوب الكفاية)^(١).
- ٢ - ويؤخذ من مفهوم قوله: «حق المسلم على المسلم» أنه ليس للذمي حق واجب فيما سبق ذكره في الحديث.

● القناعة:

● قال الله تعالى عن قناعة أهل العلم: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(٧٨) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَرَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّادِقُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا مَكَانَهُ بِالْأُمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآئِنُ اللَّهُ بِبَسْطِ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآئِنُ لَوْلَا يُفْلِحُ الْكٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ [القصص: ٧٩ - ٨٢].

١٤٤٦ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم»، متفق عليه.

التوضيح:

- انظروا إلى من هو أسفل منكم: أي في أمور الدنيا.
- ولا تنظروا إلى من هو فوقكم: أي فيها.
- أجدر: أي أحرى.
- أن لا تزدروا: أي بأن لا تحتقروا.

(١) فتح الباري (٣/١١٣).



الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - في الحديث دليل على أن المرء إذا نظر إلى من فضّل عليه في الدنيا استصغر ما عنده من نعم الله، فكان سبباً لمقته، وإذا نظر للدون شكر النعمة، وتواضع وحمد (١).
- ٢ - ينبغي على المؤمن أن يقطع طمعه عن زينة الدنيا وأهلها، فإن من نظر إلى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه، وانبعث بقوة الحرص طمعه، ولا يرى إلا الخيبة في أكثر الأحوال، فيتأذى بذلك، ومهما اعتزل لم يشاهد، وإذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].
- ٣ - قال عون بن عبد الله: (كنت أجالس الأغنياء؛ فلم أزل مغموماً! كنت أرى ثوباً أحسن من ثوبي! ودابة أفره من دابتي! فجالست الفقراء فاسترحت).
- وحكي أن المزني خرج من باب جامع الفسطاط، وقد أقبل ابن عبد الحكم في موكبه، فبهره ما رأى من حسن حاله وحسن هيئته! فتلا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠]، ثم قال: (بلى أصبر وأرضى).
- ٤ - وعلى العكس من ذلك في أمور الدين؛ فينبغي أن ينظر إلى من هو أحسن منه، ولذا قيل: لا يزال الإنسان يترقى في درجات النظر علواً علواً، كلما نال درجة سما به حرصه إلى النظر إلى ما فوقها، فإذا نظر إلى من دونه في درجات الدين اعتراه العُجب فأعجب بنفسه؛ فطال بتلك الدرجة على الخلق واستطال! فرمي به من ذلك العلو فلا يبقى منه عضوٌ إلا انكسر وتبدد! (٢).
- ٥ - الطمأنينة القلبية لا تحصل إلا بحسن النظر، والقناعة بما قسم الله للعبد، فإذا قنع نفسه، وألهم شعوره بنعم الله تعالى عليه، حصلت له راحة نفسية، وطمأنينة قلبية، ورضي بما قسم الله له؛ فلا تطمح نفسه في أمور الدنيا إلى من هم أعلى منه، ولا تمتد عيناه إلى من هم فوقه فيها. وإذا فعل ذلك، حصل له راحة قلب، وطيب نفس، وهناءة عيش. وإلا فإنه مهما حصل، ومهما زادت أموره الدنيوية، فإنه سيجد من هو أحظ منه؛ فلا يزال في شقاء قلب، وتعب ضمير، وإنهاك بدن، وهو، وغفلة عن الاستعداد لحياته الباقية، وسعادته الدائمة (٣).

(١) تحفة الأحوذى (٧/١٨٢).

(٢) إحياء علوم الدين (٢/٢٣٥).

(٣) توضيح الأحكام (٧/٢٨٧).

الضابط الجامع للبر والإثم:

قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَفَوْا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩].

قال ابن كثير: (وَأَصْلُ التَّقْوَى: التَّوَقُّي مِمَّا يَكْرَهُ لِأَنَّ أَصْلَهَا وَقَوَى مِنَ الْوِقَايَةِ).

١٤٤٧- عن النّوأس بن سمعان رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟ فَقَالَ: «الْبِرُّ: حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»، أخرجّه مسلم.

ترجمة الراوي:

النّوأس بن سمعان العامريّ الكلابيّ، له ولأبيه صحبة، سكن الشام، قال ابن عبد البر: (يقال: إن أباه سمعان بن خالد وفد على النبي ﷺ فدعا له رسول الله ﷺ، وأعطاه نعليه فقبلها وزوجه أخته، فلما دخلت على النبي ﷺ تعوذت منه فتركها، وهي الكلابية).

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

١ - البر يكون بمعنى الصلّة، وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة، وبمعنى الطاعة، وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق.

٢ - معنى: «حاك في صدرك»: أي: تحرك فيه وتردد، ولم ينشرح له الصدر، وحصل في القلب منه الشك وخوف كونه ذنباً^(١).

٣ - قال ابن القيم: (قابل البر بالإثم، وأخبر: أن البر: حسن الخلق، والإثم: حواز الصدور، وهذا يدل على أن حسن الخلق هو الدين كله، وهو حقائق الإيمان وشرائع الإسلام، ولهذا قابله بالإثم. فحسن الخلق: طمأنينة النفس والقلب، والإثم: حواز الصدور وما حاك فيها واسترابت به)^(٢).

٤ - ووجه كون كراهة الناس للشيء يدل على أنه إثم: أن النفس بطبعها تحب الاطلاع على خيرها، وتكره ضد ذلك؛ فبكرهاتها اطلاع الناس يعلم أنه شر وإثم^(٣).

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/١١١).

(٢) مدارج السالكين (٢/٣٠٦).

(٣) توضيح الأحكام (٧/٢٩٢).

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُؤُورًا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يُعُودُونَ لِمَا هُؤُورًا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حِيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَافُونَهَا فِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٦﴾ إِنَّمَا التَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ [المجادلة: ٨ - ١٠].

١٤٤٨ - عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الْآخِرِ، حَتَّى تَحْتَلِطُوا بِالنَّاسِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ»، متفق عليه، واللفظ لمسلم.

التوضيح:

- المناجاة: المسارة، وانتجى القوم وتناجوا: أي سار بعضهم بعضاً.

الدلالات الفقهية:

- ١ - قال النووي: (في الأحاديث النهي عن تناجي اثنين بحضرة ثالث، وكذا ثلاثة وأكثر بحضرة واحد، وهو نهي تحريم؛ فيحرم على الجماعة المناجاة دون واحد منهم، إلا أن يأذن. ومذهب جماهير العلماء: أن النهي عام في كل الأزمان، وفي الحضر والسفر)^(١).
- ٢ - ومن التناجي المكروه: أن يتكلم بلغة لا يحسنها الثالث الذي معها؛ فهذه لها حكم التيسار والتناجي الممقوت^(٢).

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

أحب شيء إلى الشيطان: أن يحزن العبد؛ ليقطعه عن سيره، ويوقفه عن سلوكه؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [المجادلة: ١٠] وقد استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن» فهو قرين الهم، وكلاهما مضعف للقلب عن السير مفتر للعزم^(٣).

(١) شرح النووي على مسلم (١٤/١٦٧).

(٢) توضيح الأحكام (٧/٢٩٤).

(٣) مدارج السالكين (١/٥٠٦).



طريقة الاستدلال:

- ١ - النهي الوارد في الأحاديث السابقة ظاهره التحريم، ولا صارف له، فيحرم أن يتناجى اثنان دون الثالث، أو مجموعة من الناس دون واحد منهم.
- ٢ - مفهوم الحديث: أنهم إذا كانوا أربعة فأكثر، فتناجى اثنان دون الباقيين؛ أن ذلك جائز، وهذا يجمع عليه (١).

آداب المجالس:

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَبَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَاسْبَحُوا يَفْسَحُ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ائْتُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

١٤٤٩ - عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ، وَلَكِنْ تَسَبَّحُوا، وَتَوَسَّعُوا»، متفق عليه.

الدلالات الفقهية:

- ١ - إن قعد واحد من الناس في موضع من المسجد أو غيره لم يجز لغيره أن يقيمه حتى يقعد مكانه، فإن قام الرجل وأجلس الآخر مكانه باختياره جاز له أن يجلس.
- ٢ - وفي الحديث: أن المتعين على الحضور أن يتفصحوا للقادم حتى يوجدوا له مكاناً بينهم؛ قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَبَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَاسْبَحُوا يَفْسَحُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١]، قال القرطبي: الصحيح أن الآية عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير؛ سواء أكان مجلس حرب، أو ذكر، أو مجلس يوم الجمعة، فإن كل واحد أحق بمكانه الذي سبق له؛ قال ﷺ: «من سبق إلى ما لم يسبق إليه، فهو أحق به» (٢).

(١) شرح النووي على مسلم (١٦٧/١٤).

(٢) تفسير القرطبي (٢٩٧/١٧)، والحديث أخرجه أبو داود (٣٠٧١).



الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

١ - الحكمة في هذا النهي منع استنفاص حق المسلم المقتضي للضعائن، والحث على التواضع المقتضي للمواددة، وأيضاً فالناس في المباح كلهم سواء، فمن سبق إلى شيء استحققه، ومن استحق شيئاً فأخذ منه بغير حق فهو غضب، والغضب حرام، فعلى هذا قد يكون بعض ذلك على سبيل الكراهة، وبعضه على سبيل التحريم.

٢ - التأدب بهذه الآداب هو من تمام الدين وحسن الخلق، وينبغي في مسألة التفسح استشعار قوله تعالى: ﴿فَأَسْحَوْا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١]، فمن فسح لغيره جعل الله له من كل ضيق سعة ومن كل عسر يسراً.

طريقة الاستدلال:

قاعدة: (لا إيثار بالقرّب): الإيثار بالقرّب على نوعين:

النوع الأول: القرّب الواجبة: فهذه لا يجوز الإيثار بها، ومثاله رجل معه ماء يكفي لوضوء رجل واحد فقط، فلا يجوز أن يؤثر صاحبه بهذا الماء؛ لأنه يكون قد ترك واجباً عليه، وهو الطهارة بالماء، فالإيثار في الواجب حرام.

النوع الثاني: الإيثار بالمستحب: الأصل فيه أنه لا ينبغي، بل صرح بعض العلماء بالكراهة، وقالوا: إن إيثاره بالقرّب يفيد أنه في رغبة عن هذه القرّب.

لكن الصحيح أن الأولى عدم الإيثار، وإذا اقتضت المصلحة أن يؤثر فلا بأس، مثل أن يكون أبوه في الصف الثاني وهو في الصف الأول، ويعرف أن أباه من الرجال الذين يكون في نفوسهم شيء إذا لم يقدمهم الولد، فهنا نقول: الأفضل أن تقدم والدك، أما إذا كان من الآباء الذين لا تهمهم مثل هذه الأمور، فالأفضل أن يبقى في مكانه؛ ولو كان والده في الصف الثاني، وكذلك بالنسبة للعالم^(١).

● من آداب الطعام والشراب:

● قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُؤُومًا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُومٌ

(١) لقاءات الباب المفتوح، الشيخ ابن عثيمين، اللقاء (٣٥)، (ص ٢٢).



عَدُوْمَيْنِ ﴿٣٨﴾ إِنَّمَا يُمْرِكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩]، والشيطان يصد عن ذكر الله، ويخالف أمر الله فيأكل بشماله، ويعبث بنعمة الله عن طريق النفخ في الإناء وطيشان اليد في الصفحة فترتفع البركة، ويحمل على الكبر المناقض للتواضع والشكر في هيئة الشرب والأكل ولعق الأصابع، ويأمر بعيب الطعام وكل سوء وقبح.

١٤٥٠- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلَا يَمْسَحُ يَدَهُ، حَتَّى يَلْعَقَهَا، أَوْ يُلْعِقَهَا»، متفق عليه.

١٤٥١- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ»، أخرجه مسلم.

١٤٥٢- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِمًا»، أخرجه مسلم.

الدلالات الفقهية:

١ - دلّ حديث ابن عباس على استحباب لعق الأصابع قبل مسح اليد بالمنديل أو غسلها، وذلك عقب انتهاء الطعام - وليس أثناءه - وكرهه مسح اليد قبل لعقها؛ لاحتمال كون بركة الطعام في ذلك الممسوح.

٢ - وفي حديث ابن عمر دليل على أن في الأكل بالشمال تشبهه بالشيطان، والأولى حمل الخبر على ظاهره، وأن الشيطان يأكل حقيقة؛ لأن العقل لا يجيل ذلك، وقد ثبت الخبر به، فلا يحتاج إلى تأويله^(١).

٣ - وفي الحديث دليل على مشروعية الأكل باليمين، وجمهور العلماء على أن الأكل والشرب باليمين مستحب^(٢). والراجح أن الأكل والشرب باليمين واجب، وهو قول ابن حزم، ورَجَّحه ابن القيم، وابن حجر، وجماعة من المحققين^(٣).

٤ - وفي حديث أبي هريرة دليل على تحريم الشرب قائماً؛ لأنه الأصل في النهي، وإليه ذهب ابن حزم، وذهب الجمهور إلى أنه خلاف الأولى، وآخرون إلى أنه مكروه، وصرّوه عن

(١) فتح الباري (٩/٥٢٢).

(٢) عمدة القاري (٢١/٢٨)، نيل الأوطار (٨/١٦١).

(٣) زاد المعاد (٢/٣٦٩)، فتح الباري (٩/٥٢٢)، والآداب الشرعية (٣/١٦٨).

التحريم؛ لما في صحيح مسلم من حديث ابن عباس قال: «سقيت رسول الله ﷺ من زمزم، فشرب وهو قائم»، وفي صحيح البخاري: «أن علياً ﷺ شرب قائماً، وقال: رأيت رسول الله ﷺ فعل كما رأيتموني فعلت»، فيكون فعله ﷺ بياناً لكون النهي ليس للتحريم (١).

٥ - قال النووي: (ليس في هذه الأحاديث بحمد الله تعالى إشكال، ولا فيها ضعف، بل كلها صحيحة، والصواب فيها أن النهي فيها محمول على كراهة التنزيه، وأما شربه ﷺ قائماً في بيان للجواز، فلا إشكال ولا تعارض، وهذا الذي ذكرناه يتعين المصير إليه) (٢).

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

١ - الشيطان عدو ابن آدم، والساعي إلى إهلاكه وإصابته بالعنت والمشقة، وفي الانتباه لهذه الآداب مجانبة لسبيل العدو، وتضييق لمجاريه، وتحرز من شره، وسدّ لمداخله على ابن آدم.
٢ - لا يأمر الشارع إلا بما ينفع ولا ينهى إلا عما يضر، وقد أثبت الطب فوائد الشرب جالساً، وأن إدمان الشرب قائماً لا يخلو من أضرار، والله الحكمة البالغة.

طريقة الاستدلال:

١ - دل على وجوب الأكل باليمين: محيى الأمر بالأكل باليمين، والنهي عن الأكل بالشمال، والأمر يفيد الوجوب، ونهى عن الأكل بالشمال في حديث آخر، والنهي يدل على التحريم، ولا صارف للأمر، ولا للنهي عن ظاهرهما.
٢ - الحقيقة مقدمة على المجاز: فتأويل حديث أكل الشيطان بالشمال بأن المراد أنكم إن فعلتم ذلك كنتم من أولياء الشيطان: خلاف الظاهر، وعدول عنه بغير مقتضى، والحقيقة مقدمة على المجاز، ولا يصح التأويل إلا بدليل.
٣ - إذا تعارض قول النبي ﷺ مع فعله؛ صرفنا الأمر عن ظاهر الوجوب إلى الاستحباب، والنهي عن ظاهر التحريم إلى الكراهة. فإن قيل: كيف يفعل النبي ﷺ المكروه؟ قال النووي: (فالجواب: أن فعله ﷺ إذا كان بياناً للجواز: لا يكون مكروهاً، بل البيان واجب عليه ﷺ، فكيف يكون مكروهاً؟! وقد ثبت عنه أنه ﷺ توضعاً مرة مرة، وطاف على بعير، مع أن الإجماع على أن الضوء ثلاثاً والطواف ماشياً أكمل، ونظائر هذا غير

(١) سبل السلام (٤/١٥٦).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٣/١٩٥).

منحصرة، فكان ﷺ يبنه على جواز الشيء مرة أو مرات، ويواظب على الأفضل منه، وهكذا كان أكثر وضوئه ﷺ ثلاثاً ثلاثاً، وأكثر طوافه ماشياً، وأكثر شربه جالساً، وهذا واضح لا يتشكك فيه من له أدنى نسبة إلى علم^(١).

• آداب السلام:

• قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦].

وقال الله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكَاةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١]. قوله: ﴿عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ يدل على أن هذه التحية خاصة بالمسلمين.

١٤٥٣ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَلَّمَ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ»، رواه البخاري بلفظ الخبر، وأحمد هكذا بلفظ الأمر، وفي رواية في الصحيحين: «يُسَلِّمُ الرَّاَكِبُ عَلَى الْمَاشِي».

١٤٥٤ - وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجْزَىٰ عَنِ الْجَمَاعَةِ إِذَا مَرُّوا أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمْ، وَيُجْزَىٰ عَنِ الْجَمَاعَةِ أَنْ يُرَدَّ أَحَدُهُمْ»، رواه [أبو داود] والبيهقي. [عزاه ابن حجر لأحمد وليس فيه، وضعفه الدارقطني في العلل (١١/٢)، والمنذري في مختصر سنن أبي داود (٥٢١٠)، وغيرهما].

١٤٥٥ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَبَدُّوْا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ بِالسَّلَامِ، وَإِذَا لَقَيْتُمُوهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَىٰ أَضْيَقِهِ»، أخرجه مسلم.

الدلالات الفقهية:

١ - في حديث أبي هريرة دليل على أنه يسن أن يسلم الصغير على الكبير، والقليل على الكثير، والماشي على الجالس، والراكب على الماشي. فإن عكس؛ بأن سلم الكبير على الصغير، والكثير على القليل، والقاعد على الماشي، والماشي على الراكب: حصلت السنة؛ للاشتراك في الأمر بإفشاء السلام، والأول أكمل في السنة؛ لامتيازه بخصوص الأمر السابق في الحديث^(٢).

٢ - قال النووي: (اعلم أن ابتداء السلام سنة ليس بواجب، وهو سنة على الكفاية، فإن كان المسلم جماعة: كفى عنهم تسليم واحد منهم، ولو سلموا كلهم كان أفضل. وأما رد

(١) شرح النووي على مسلم (١٣/١٩٥).

(٢) كشف القناع (٤/٢٦١).

السلام: فإن كان المسلم عليه واحداً: تعيّن عليه الردّ، وإن كانوا جماعةً كان ردّ السلام فرض كفاية عليهم، فإن ردّ واحد منهم سقط الحرج عن الباقين، وإن تركوه كلهم أثموا كلهم، وإن ردّوا كلهم؛ فهو النهاية في الكمال والفضيلة^(١).

٣ - ودلّ حديث أبي هريرة الثاني على أنه لا يجوز للمسلم أن يبدأ غير المسلم بالسلام؛ لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك، أما إذا سلّموا علينا فإننا نرد عليهم مثل ما سلّموا؛ لعموم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦] (٢).

٤ - وإذا كانت هناك حاجة داعية إلى بدء الكافر بالتحية، فلا حرج فيها حيثنذ، ولتكن بغير السلام، كما لو قال له: أهلاً وسهلاً، أو كيف حالك، ونحو ذلك؛ لأن التحية حيثنذ لأجل الحاجة، لا لتعظيمه^(٣)، قال ابن القيم -رحمه الله-: (وقالت طائفة: يجوز الابتداء لمصلحة راجحة من حاجة تكون إليه، أو خوف من أذاه، أو لقرابة بينهما، أو لسبب يقتضي ذلك)^(٤).

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

١ - قال ابن القيم: (فشرع الله الملك القدوس السلام لأهل الإسلام تحية بينهم، وكانت أولى من جميع تحيات الأمم التي فيها ما هو محال وكذب، نحو قولهم: تعيش ألف سنة، وما هو قاصر المعنى مثل: أنعم صباحاً، ومنها ما لا ينبغي مثل: السجود. فكانت التحية بالسلام أولى من ذلك كله؛ لتضمنها السلامة التي لا حياة ولا فلاح إلا بها، فهي الأصل المقدم على كل مقصود، ومقصود العبد من الحياة يحصل بشيئين: بسلامته من الشر، وحصول الخير عليه، والسلامة من الشر مقدمة على حصول الخير)^(٥).

٢ - لا يجوز تعظيم الكافر، ولا النظر إليه نظرة اعزاز وإكبار، فقد صغّر الله شأنهم، وحقّر أمرهم، فلا يصح أن نرفع أحداً منهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ سَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّعْفُ الْبِكْرُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢].

(١) الأذكار (ص ٣٥٦).

(٢) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين (٣/ ٣٣).

(٣) الموسوعة الفقهية (٢٥/ ١٦٨).

(٤) زاد المعاد (٢/ ٤٢٤).

(٥) بدائع الفوائد (ص ١٤٤).



طريقة الاستدلال:

- ١ - ظاهر الأمر في قوله: «لِيُسَلِّمَ» الوجوب، ولكن صرفه عنه إلى الاستحباب: الاتفاق على عدم وجوب البداءة بالسلام^(١).
- ٢ - قاعدة: (الإسلام يعلو ولا يعلى عليه): ومن تطبيقات هذه القاعدة ما جاء في حديث أبي هريرة من عدم بداءة الكافر بالسلام، وعدم إفساح الطريق له.

• صيغ الحمد والتشميت والرد:

• قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَجَّتَنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨]. في الآية تشريع لحمد الله عند كل نجاة.

قال ابن المرزبان: (وكذلك العطاس الذي يصيب الإنسان، إنما هو تخلص من بخار مستكن في الرأس والخياشيم، وانفساح من ضيق وغم)^(٢).

وقد انتظم أدب العطاس ما في سورة الفاتحة من الحمد والدعاء بالرحمة والهداية.

١٤٥٦ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ، وَيُصَلِّحُ بِأَلْسِنَتِكُمْ»، أخرجه البخاري.

الدلالات الفقهية:

١ - اتفق العلماء على أنه يستحب للعاطس أن يقول عقب عطاسه: «الحمد لله»، فإن قال لفظاً آخر غير (التحميد): لم يستحق التشميت^(٣).

٢ - التشميت سنة على الكفاية، لو قال بعض الحاضرين أجزاء عنهم، ولكن الأفضل أن يقول له كل واحد، لظاهر قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة أخرجه البخاري قال: «إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم وحمد الله، كان حقاً على كل مسلم سماعه أن يقول: يرحمك الله تعالى».

(١) سبل السلام (٤/١٥٤).

(٢) تصحيح الفصيح وشرحه (ص ٤٩).

(٣) الأذكار (ص ٢٤٠).



الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

١ - قال الحلبي: (الحكمة في مشروعية الحمد للعاطسين: أن العطاس يدفع الأذى من الدماغ الذي فيه قوة الفكر، ومنه منشأ الأعصاب التي هي معدن الحس، وبسلامته تسلم الأعضاء، فيظهر بهذا أنها نعمة جليلة، فناسب أن تقابل بالحمد لله؛ لما فيه من الإفراد لله بالخلق والقدرة، وإضافة الخلق إليه لا إلى الطباع)^(١).

٢ - قال الإمام ابن القيم: (حمد الإنسان لله بعد العطاس يسوء الشيطان من وجوه، منها: نفس العطاس الذي يحبه الله، وحمد الله عليه، ودعاء المسلمين له بالرحمة، ودعاؤه لهم بالهداية وإصلاح البال، وذلك كله غائظ للشيطان محزن له، فتشميت المؤمن بغيظ عدوه وحزنه وكآبته، فسمي الدعاء له بالرحمة تشميئاً له؛ لما في ضمنه من شماتته بعدوه، وهذا معنى لطيف إذا تنبه له العاطس والمشميت انتفعا به، وعظمت عندهما منفعة نعمة العطاس في البدن والقلب، وتبين السر في محبة الله له، فله الحمد الذي هو أهله، كما ينبغي لكريم وجهه وعز جلاله)^(٢).

طريقة الاستدلال:

قوله ﷺ: «فليقل: الحمد لله»: ظاهر الحديث يقتضي وجوبه؛ لثبوت الأمر الصريح به، ولكن نقل النووي الاتفاق على استحبابه^(٣)، والإجماع ينقله عن ظاهر الوجوب إلى الاستحباب.

آداب الانتعال:

١٤٥٧ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشَّمَالِ، وَلْتَكُنْ الْيُمْنَى أَوْهَمًا تُنْعَلُ، وَآخِرُهُمَا تُنْزَعُ»، رواه البخاري.

١٤٥٨ - وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَمْسُ أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، وَلْيُنْعِلْهُمَا جَمِيعًا، أَوْ لِيُخْلَعْهُمَا جَمِيعًا»، متفق عليه.

(١) الفتح (٧/٦٠٢).

(٢) زاد المعاد (٢/٤٠٠-٤٠١).

(٣) فتح الباري (١٠/٦٠).



١ - فيه تفضيل البداء باليمين في الانتعال وفي غيره. قال النووي: (يستحب البداء باليمين في كل ما كان من باب التكريم والزينة والنظافة، ونحو ذلك؛ كلبس النعل والخف والمداس والسرراويل والكم، وحلق الرأس وترجيله، وقص الشارب، وبتف الإبط، والسواك، والاكتحال، وتقليم الأظفار، والوضوء، والغسل، والتيمم، ودخول المسجد، والخروج من الخلاء، ودفع الصدقة، وغيرها من أنواع الدفع الحسنة، وتناول الأشياء الحسنة، ونحو ذلك). قال: (ويستحب البداء باليسار في كل ما هو ضد السابق في المسألة الأولى، فمن ذلك: خلع النعل والخف والمداس والسرراويل والكم، والخروج من المسجد، ودخول الخلاء والاستنجاء وتناول أحجار الاستنجاء، ومس الذكر، والامتخاط والاستنثار، وتعاطى المستقذارات وأشباهها).

٢ - وفي الحديث الثاني النهي عن المشي في نعل واحدة، وقد ألحق بالنعلين كل لباس شفع؛ كالحفين، وقال الخطابي: (وكذا إخراج اليد الواحدة من الكم دون الأخرى، والارتداء على أحد المنكبين دون الآخر)^(١).

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

١ - قال ابن العربي: (البداء باليمين مشروعة في جميع الأعمال الصالحة؛ لفضل اليمين حساً في القوة، وشرعاً في الندب إلى تقديمها)، وقال الحلبي: (إنها يبدأ بالشمال عند الخلع؛ لأن اللبس كرامة؛ إذ هو وقاية للبدن، فلما كانت اليمين أكرم من اليسرى بدأ بها في اللبس، وأُخِّرَت في النزع؛ لتكون الكرامة لها أدوم، وحصتها منها أكثر).

٢ - وهذا الحديث لا يدلُّ على استحباب الانتعال؛ لأنه قال: «إذا انتعل أحدكم»، ولكن يدلُّ عليه ما أخرجه مسلم: «استكثروا من النعال، فإن الرجل لا يزال راكباً ما انتعل»؛ أي: يشبه الراكب في خفة المشقة، وقلة النصب، وسلامة الرجل من أذى الطريق، فإن الأمر إذا لم يحمل على الإيجاب، فهو للاستحباب^(٢).

(١) فتح الباري (١٠/٣٠٩-٣١١).

(٢) سبل السلام (٤/١٥٧).



- ٣ - التيامن في الشيء الحسن والمكرم يخص منه أمران، هما: الكلام، ودفع السواك: فيسن الأكبر؛ أما الكلام فلحديث حويصة ومحيصة في القسامة، حيث قال النبي ﷺ لمحيصة: «كَبْرٌ كَبْرٌ» متفق عليه، وأما السواك: فلحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَنُّ وَعِنْدَهُ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ، فَأُوحِيَ إِلَيْهِ: أَنْ كَبَّرَ، أَعْطِيَ السَّوَاكَ أَكْبَرَهُمَا» (١).
- ٤ - الإسلام كامل، ويدعو إلى الكمال، وجميل يحب الجمال؛ فإن مشي الإنسان في نعل واحدة، أو خف واحدة فيه مثلة وتشهير، ومخالفة للمعتاد؛ لذا نهى عن المشي في نعل واحدة، فيما أن ينعل الرجلين جميعاً، وإما أن يتركهما، ويكون حافياً، وكان ﷺ تارة يتنعل، وتارة يمشي حافياً (٢).

طريقة الاستدلال:

- ١ - قاعدة: (يستحب التيامن فيما كان من باب التكريم، والتياسر فيما كان بعكس ذلك).
- ٢ - دَلَّ القياس على إلحاق كل لباس شفع بالنعلين.
- ٣- ظاهر النهي عن المشي في نعل واحدة التحريم، وحمله الجمهور على الكراهة؛ لأنهم يقررون أن ما كان من جنس الآداب، فإنه محمول على الندب أو الكراهة.

إسبال الثياب:

- قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧].
- قال القرطبي: هَذَا نَهْيٌ عَنِ الْخِيَلَاءِ وَأَمْرٌ بِالتَّوَّاضِعِ. اهـ، والنهي عن الخيلاء يشمل كل ما يؤدي إليها من إطالة الثياب أو غير ذلك.
- ١٤٥٩ - عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءً»، متفق عليه.

الدلالات الفقهية:

- ١ - الخيلاء محرّم مطلقاً في اللبس أو في غيره، إلا في الحرب، والخيلاء في الثوب يكون في حق الرجال بإسباله تحت الكعبين.

(١) رواه أبو داود، وصحّحه الألباني [صحيح أبي داود برقم (٤٠)].

(٢) توضيح الأحكام (٧/ ٣١١).



٢ - إسبال الثياب على حالين: الأول: أن يكون الإسبال للخيلاء، وهذا لا خلاف بين العلماء في تحريمه، وهو كبيرة من كبائر الذنوب^(١).

الثاني: أن يسبل ثوبه، ولا يريد به الخيلاء، فيرخيه تساهلاً، أو لغير ذلك، فالجمهور من الأئمة الأربعة على أنه مكروه كراهة تنزيه، والراجح أن الإسبال حرام مطلقاً؛ لعموم الأدلة الناهية عن الإسبال؛ من ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار»^(٢). وهذا النص عام سواء كان للخيلاء أو ليس كذلك، وهو للخيلاء أشد تحريماً، وهو قول الظاهرية، وجماعة من الفقهاء^(٣)، ورجَّحه الشيخ ابن باز، وغيره^(٤).

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

من المقاصد الشرعية بناء الشخصية الإسلامية على التواضع، ويكفي ما جاء في الوعيد الشديد حول الكبر والمخيلة؛ لكونها صفتان مذمومتان لا تليقان بمسلم.

طريقة الاستدلال:

الراجح أن الإسبال محرَّم مطلقاً؛ لأن مجرد الإسبال خيلاء، كما دل عليه حديث أبي داود: «إياك والإسبال فإنه من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة» حيث دلَّ الحديث على أن مجرد إسبال الثوب من المخيلة.

النهي عن الإسراف في المباحات:

قال الله تعالى: ﴿بَنِيَّ أَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. قال السعدي: والإسراف إما أن يكون بالزيادة على القدر الكافي والشره في المأكولات الذي يضر بالجسم، وإما أن يكون بزيادة الترفه والتنوق في المآكل والمشرب واللباس، وإما بتجاوز الحلال إلى الحرام.

(١) المجموع (١٧٦/٣).

(٢) صحيح البخاري (٥٧٨٧).

(٣) فتح الباري (٢٧٥/١٠).

(٤) فتاوى ابن باز (٤٨٣/٦).



١٤٦٠ - عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلْ، وَاشْرَبْ، وَالْبَسْ، وَتَصَدَّقْ فِي غَيْرِ سَرَفٍ، وَلَا مَخِيلَةٍ»، أخرجه أبو داود الطيالسي وأحمد، وعلقه البخاري. [وهو عند النسائي بصيغة الجمع وليس فيه الشرب].

التوضيح:

- السرف: هو مجاوزة الحد في كل فعل أو قول، وهو في الإنفاق أشهر.
- مخيلة: هي الخيلاء؛ وهي الكبر والعجب، وكأنه مأخوذ من التخيُّل وهو الظنُّ؛ لأن المختال يظن أنه بصفة عظيمة بلباسه أو مركبه أو نحو ذلك (١).

الدلالات الفقهية:

- ١ - الإسراف: تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان، وهو في الإنفاق أشهر، وقد بين الله تعالى في كتابه أنه لا يجب المسرفين.
- ٢ - وفي الحديث إباحة الطيبات من الرزق من مأكلي، ومشرب، وملبس، ومسكن، ومركب، وغير ذلك من طيبات الحياة الدنيا، ولم يحرم من ذلك إلا ما فيه مضرّة على الدين، أو على البدن، أو العقل، أو العرض، أو المال.
- ٣ - وفيه تحريم ما بلغ حدَّ الإسراف والخيلاء والاستعلاء بذلك على النَّاس.
- ٤ - قال القرطبي: (ليس كل ما تهواه النَّفس يُذم، وليس كل ما يُتَزَيَّن به للنَّاس يُكره، وإنما يُنهى عن ذلك إذا كان الشرع قد نهى عنه، أو كان على وجه الرياء في باب الدين، فإنَّ الإنسان يجب أن يرى جميلاً، وذلك حظُّ للنفس لا يلام فيه) (٢).

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - هذا الحديث جامع لفضائل تدبير الإنسان نفسه، وفيه تدبير مصالح النفس والجسد في الدنيا والآخرة؛ فإن السرف مضر بالجسد، ومضر بالمعيشة، ويؤدي إلى الإتلاف، فيضر

(١) طرح التثريب (٨/ ١٧١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٩٧).



بالنفس؛ إذ كانت تابعة للجسد في أكثر الأحوال. والمخيلة تضر بالنفس حيث تكسبها العجب، وتضر بالآخرة حيث تكسب الإثم، وبالدينيا حيث تكسب المقت من الناس^(١).
٢- وجه الحصر في الإسراف والمخيلة أن الممنوع من تناوله أكلا ولبسا وغيرهما إما معنى فيه؛ وهو تجاوز الحد وهو الإسراف، وإما للتعبد كلبس الرجال للحرير. ومجاوزة الحد، تتناول مخالفة ما ورد به الشرع فتشمل إتيان المحرم. والإسراف قد يستلزم الكبر والمخيلة.



(١) توضيح الأحكام (٧/٣١٩).



باب البر والصلة

• صلة الرحم وبر الوالدين:

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُنْفِي وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَانِي صَغِيرًا ﴿ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤].

وقال الله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿ [الرعد: ٣٩].

قال ابن كثير: (قَالَ عِكْرِمَةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الْكِتَابُ كِتَابَانِ: فَكِتَابٌ يَمْحُو اللَّهُ مِنْهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ). اهـ. ويشهد لقول ابن عباس قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِضُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١]، وصلة الرحم من أسباب زيادة العمر - كما سيأتي في الحديث - فهي مما يبدل الله به الكتاب والقدر.

وقال الله تعالى في بيان قطيعة الرحم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿ [محمد: ٢٢، ٢٣] فهي من الكبائر لما يلحق فاعلها من اللعن.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] ويدخل في هذا: النهي عن سب والد غيره سداً للذريعة؛ لأنه سبب في سب والده، ومن ارتكب سبباً يعلم نتيجه كان مسؤولاً عنه.

١٤٦١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسَاطَ لَهَ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»، رواه البخاري.

١٤٦٢ - وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ»، يَعْنِي: قَاطِعٌ رَحِمٍ. متفق عليه.

١٤٦٣ - وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَادَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَكِرَةً لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»، متفق عليه.



١٤٦٤ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «رَضَا اللهُ فِي رِضَاِ الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطَ اللهُ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ»، أخرجه الترمذي، وصحَّحه ابن حبان والحاكم. [أعله بالوقف: الترمذي في السنن (١٨٩٩)].

١٤٦٥ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «مِنَ الْكِبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ». قِيلَ: وَهَلْ يَسُبُّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ. يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ»، متفق عليه.

التوضيح:

- يُسِطُّ له في رزقه: أي يوسع له فيه.
- يُنْسَأُ له: أي يؤخر له.
- في أثره: أي في أجله.
- عقوق الأمهات: العقوق ضد البر، وأصله من العق: وهو الشق والقطع.
- وَوَأَدَّ الْبَنَاتِ: دفنهن أحياء.
- منعاً وهات: منع ما يجب أداؤه من: المال، والقول، والفعل، والخلق، وطلب واستدعاء ما ليس لكم أخذه من الحقوق.
- قوله ﷺ: «كره لكم قيل وقال»، هو حكاية للفظ الفعل، والمراد به نقل الكلام الذي يسمعه إلى غيره فيقول: قيل: كذا وكذا، وبغير ذكر القائل، وقال فلان: كذا وكذا.

الدلالات الفقهية:

- ١ - في حديثي أبي هريرة وجبير بن مطعم دليل على وجوب صلة الرحم، وحرمة قطعها، وأن قطعها من كبائر الذنوب؛ قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَعُوا أَرْحَامَكُمْ ۗ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ۗ﴾ [محمد: ٢٢ - ٢٣].
- ٢ - الأرحام: هم الأقارب من النسب من جهة أمك وأبيك، وهم المعنيون بقول الله تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥]، وأقربهم: الآباء والأمهات والأجداد والأولاد وأولادهم ما تناسلوا، ثم الأقرب فالأقرب من الإخوة وأولادهم،

والأعمام والعمات وأولادهم، والأخوال والخالات وأولادهم. أما أقارب الزوجة: فليسوا أرحامًا لزوجها إذا لم يكونوا من قرابته، ولكنهم أرحام لأولاده منها^(١).

٣- وعن ضابط الرحم الذين يجب وصلهم قال القاضي عياض: (واختلف في حد الرحم التي يجب صلتها، فقال بعض أهل العلم: هي كل رحم محرمة مما لو كان أحدهما ذكرًا حرم عليه نكاح الآخر، فعلى هذا لا يجب في بنى الأعمام وبنى الأخوال وبنى العمات. واستدل على قوله بتحريم الجمع بين الأختين، والمرأة وعمتها وخالتها؛ مخافة التقاطع، وجواز ذلك بين بنى العم والخال)^(٢).

٤- قال النووي: (صلة الرحم هي الإحسان إلى الأقارب على حسب الواصل والموصول؛ فتارة تكون بالمال، وتارة تكون بالخدمة، وتارة تكون بالزيارة، والسلام، وغير ذلك)^(٣). وقال القاضي عياض: (لا خلاف أن صلة الرحم واجبة على الجملة، وقطعها كبيرة، والأحاديث في هذا الباب من منعه اللجنة تشهد لذلك، ولكن الصلة درجات، بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة وصلتها ولو بالسلام كما قال عليه الصلاة والسلام. وهذا بحكم القدرة على الصلة وحاجتها إليها؛ فمنها ما يتعين ويلزم، ومنها ما يستحب ويرغب فيه. وليس من لم يبلغ أقصى الصلة يسمى قاطعًا، ولا من قصر عما ينبغى له ويقدر عليه يسمى واصلاً)^(٤). وقال ابن أبي حمزة: تكون صلة الرحم بالمال، وبالعين على الحاجة، ودفع الضرر، وطلاقة الوجه، والدعاء، والمعنى الجامع: إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة. وقال الشيخ العثيمين: (وصلة الأقارب بما جرى به العرف وأتبعه الناس... فما جرى به العرف أنه صلة فهو الصلة، وما تعارف عليه الناس أنه قطيعة فهو قطيعة)^(٥).

(١) فتاوى إسلامية (٤/١٩٥).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/٢٠-٢١).

(٣) شرح صحيح مسلم (٢/٢٠١).

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/٢٠).

(٥) شرح رياض الصالحين (٥/٢١٥).



- ٥ - اختلف العلماء في معنى إطالة العمر الواردة في حديث أبي هريرة^(١)، واختار شيخ الإسلام: أن الله يكتب للعبد أجلاً في صحف الملائكة، فإذا وصل رحمه زاد في ذلك المكتوب، وإن عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك المكتوب^(٢).
- ٦ - في حديث المغيرة النهي عن قيل وقال، وهو كثرة الكلام فيما لا يعني، والإرجاف، ونقل الكلام الذي يسمعه إلى غيره، فيقول: قيل: كذا وكذا، بغير ذكر القائل، وقال فلان: كذا وكذا، وإنما كره ذلك لما فيه من الاشتغال بما لا يعني المتكلم، ولكونه قد يتضمن النميمة والغيبة والكذب، لا سيما مع الإكثار من ذلك، فقلماً يخلو عنه.
- ٧ - وفيه تحريم إضاعة المال، أي: بإنفاقه في غير وجه المأذون فيه شرعاً، سواء كانت دينية أو دنيوية، والمنع من إضاعته لأن الله تعالى جعله قياماً لمصالح العباد وفي تبيذيره تفويت لتلك المصالح، إما في المبدّر، أو في حق الغير، ويستثنى كثرة الإنفاق في وجوه البرّ لتحصيل ثواب الآخرة ما لم يفوت حقاً آخر أهم.
- ٨ - وفيه النهي عن كثرة السؤال، وهي سؤال المال لنفسه من غير حاجة، والسؤال عن المشكلات والمعضلات من غير ضرورة، وسؤال الإنسان بخصوصه عن تفصيل أحواله فقد يكره ذلك، والأولى حمل السؤال في الخبر على ما يعم الجميع، وذلك لأنه اسم جنس محلى بأل فيعم.
- ٩ - وعن حديث عبد الله بن عمرو يقول النووي: (فيه دليل على أن من تسبب في شيء جاز أن ينسب إليه ذلك الشيء، وإنما جعل هذا عقوقاً؛ لكونه يحصل منه ما يتأذى به الوالد تأذياً ليس بالهين، وهذا من العقوق)^(٣).

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - حديث أبي هريرة دليل على أن قصد العامل لما يترتب على عمله من ثواب الدنيا لا يضره إذا كان القصد وجه الله تعالى والدار الآخرة؛ فإن الله بحكمته رتب الثواب العاجل والآجل، ووعد بذلك العاملين؛ فالمؤمن الصادق يكون في فعله وتركه مخلصاً لله، مستعيناً بما في الأعمال من المرغبات المتنوعة على هذا المقصد الأعلى^(٤).

(١) فتح الباري (١٠/٤٢٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١٤/٤٩٠).

(٣) شرح النووي على مسلم (٢/٨٨).

(٤) توضيح الأحكام (٧/٣٢٣).

٢ - من مكارم الأخلاق: أن يصل الإنسان من قطعه من الأقارب ممن تجب صلتهم عليه، وقد أخرج البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس الواصل بالمكافئ، إنما الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها».

٣ - بر الوالدين من أهم المهام، وأعظم القربات، وأجل الطاعات، وأوجب الواجبات، وعقوقها من أكبر الكبائر، وأقبح الجرائم، وأبشع المهلكات؛ للأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة الصريحة.

٤ - خصَّ العقوق في حديث المغيرة بالمهات، وذلك أن بر الوالدين وإن كان فرضاً، فإنه يتفاوت في الأحقية، فالأم عانت صعوبة الحمل، وصعوبة الوضع، وصعوبة الرضاع والتربية^(١).

٥ - بر الوالدين يكون بطاعتها واحترامها وتوقيرهما، والدعاء لهما، وخفض الصوت عندهما، ولين الكلام معهما والبشاشة في وجوههما، وخفض الجناح لهما، وترك التأفف والتضجُّر عندهما، والسعي في خدمتهما، وتحقيق رغباتهما، ومشاورتهما، والإصغاء إلى حديثهما، وترك المعاندة لهما، وإكرام صديقيهما في حياتهما وبعد موتهما.

ومنه: ألا يسافر إلا بإذنها، وألا يجلس في مكان أعلى منها، وألا يمد يده إلى الطعام قبلها، وألا يفضل زوجته أو ولده عليها.

ومنه: زيارتهما، وتقديم الهدايا لهما، وشكرهما على حسن تربيتهما، وإحسانهما، والسعي في تقليل الخلاف الواقع بينهما، وفي تحبيب أحدهما إلى الآخر.

طريقة الاستدلال:

١ - قوله: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ»: فيه ثلاثة أمور:

الأول: أن قطع الرحم من الكبائر، للوعيد بدخول النار المفهوم من الحديث.
الثاني: منهج أهل السنة والجماعة في فهم النصوص الشرعية أنهم يجمعونها في سياق واحد، فما كان منها مطلقاً له ما يقيده أخذوا بالمقيّد، وما كان فيها من عموم له ما يخصه قدّموا التخصيص على العموم، ويقدمون الناسخ على المنسوخ، والصحيح على الضعيف، ويردون المتشابه من النصوص إلى المحكم منها، ولم تقع الفرق الضالة فيما وقعت فيه من مخالفة للحق والصواب في الاعتقاد إلا لأنها أخذت ببعض النصوص، وتركت الأخرى.

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٠/٢٤٤).

الثالث: ليس المراد خلود قاطع الرحم في النار؛ إذ إن الذنوب والمعاصي التي توعد الله تعالى فاعلها بأنه لا يدخل الجنة، أو أنه لا يشم رائحتها، أو أنه في جهنم ليست على ظاهرها من أنه لا يدخل الجنة البتة؛ فقد بينت النصوص الأخرى أن هذه الذنوب قابلة للمغفرة، وأن المسلم مهما عمل من ذنب وعُذّب به فإن مآله إلى الجنة.

٢ - قال ابن بطال عن حديث عبد الله بن عمرو: (هذا الحديث أصل في سد الذرائع).

ويؤخذ منه أنه إن آل أمره إلى محرّم حرم عليه الفعل - وإن لم يقصد المحرّم - وعليه دل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] واستنبط منه الماوردي: تحريم بيع الثوب الحرير إلى من يتحقق منه لبسه، والغلام الأمرد إلى من يحقق منه فعل الفاحشة، والعصير لمن يتخذه خمراً^(١).

• حق الجار:

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

١٤٦٦ - عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك». قلت ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك». قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تزاني حليلة جارك»، متفق عليه.

١٤٦٧ - وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا طبخت مرقة، فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك»، أخرجه مسلم.

التوضيح:

- حليلة جارك: أي زوجته التي تحل له.

(١) سبل السلام (٤/١٦٦).



الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - الجوار يقتضي حقاً وراء كف الأذى فقط، بل احتمال الأذى، والرفق، وابتداء الخير؛ فيدؤه بالسلام، ويعوده في المرض، ويعزيه في المصيبة، ويهنئه في الفرح، ويصفح عن زلاته، ولا يطلع إلى داره، ولا يضايقه في صب الماء في ميزابه، ولا في طرح التراب في فنائه، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستمر ما ينكشف من عوراته، ولا يتسمع على كلامه، ويغض طرفه عن حرمة، ويلاحظ حوائج أهله إذا غاب^(١).
- ٢ - في حديث ابن مسعود دليل أن أعظم المعاصي الشرك، ثم القتل بغير حق، وعليه نصّ الشافعي، ثم تختلف الكبائر باختلاف مفسدها الناشئة عنها^(٢).
- ٣ - قوله ﷺ: «وهو خلقك» هذا سياق تبشيع؛ فإن من أبشع الأشياء أن تقابل النعم عليك بالإساءة، فكيف إذا كان المنعم هو صاحب النعم العظيمة، والمنن الكبيرة، التي أولها الإيجاد من العدم؟!^(٣).
- ٤ - قوله: قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك»: أي الذي هو أحب الأشياء عند الإنسان عادة، ثم الحامل على قتله خوف أن يأكل معك، وهو في نفسه من أخس الأشياء، فإذا قارن القتل ذلك؛ زاد قبحاً على قبح، وهو معنى قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١] أي فقر^(٤).
- ٥ - وقوله: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ» معناه: تزني بها برضاها، ولهذا عبر بـ(تزاني) التي تقتضي تفاعلاً من الطرفين؛ وفي ذلك فاحشة الزنا، وإفساد المرأة على زوجها، واستمالة قلبها إلى غيره، وكل ذلك فاحشة عظيمة، وكونها حليلة الجار أعظم؛ لأن الجار يتوقع من جاره الذب عنه وعن حريمه، ويأمن بوائقه ويركن إليه، وقد أمر الله تعالى برعاية حقه

(١) توضيح الأحكام (٧/ ٣٣٤).

(٢) سبل السلام (٤/ ١٦٦).

(٣) توضيح الأحكام (٧/ ٣٣٦).

(٤) مرعاة المفاتيح (١/ ١٢٢).



والإحسان إليه، فإذا قابل هذا بالزنا بامرأته، وإفسادها عليه مع تمكنه منها على وجه لا يتمكن منه غيره؛ كان غاية في القبح^(١).

٦ - في حديث أبي ذر ذم الغفلة عن تعاهد الجيران بالطعام، فكم من الناس من يغفل عن هذا الأمر، فلا يتعاهد جيرانه بالطعام، مع أنه قد يصنع ما يزيد على حاجته ثم يرمي باقيه في الزبل، مع أن من جيرانه من قد يبیت على الطوى لا يجد ما يسد جوعته!! وهذا منافٍ لحق الجيرة، وأدب المروءة^(٢).

٧ - وفي الحديث ندب الإحسان إلى الجار، وأنه يندب أن يفرق لجاره من طعامه، وينبغي أن يُخص به أولاً الأقرب، والأحوج؛ وإن أمكن التعميم، فهو أولى.

٨ - قال الحافظ العراقي: (وفيه ندب إكثار مرق الطعام لقصد التوسعة على الجيران والفقراء، وأن المرق فيه قوة اللحم، فإنه يسمى أحد اللحمين؛ لأنه يخرج خاصية اللحم فيه بالغيلان)^(٣).

طريقة الاستدلال:

قوله: «خشية أن يطعم معك» لا اعتبار بمفهومه؛ لأنه خرج مخرج الغالب؛ لأنهم كانوا يقتلونهم لأجل ذلك، وإلا فإنه يحرم قتلهم مطلقاً^(٤).

• بذل المعروف للإخوان:

• قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١١٣﴾ وَلِتُكِنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣ - ١٠٥].

وقال الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

(١) سبل السلام (٤/١٦٦).

(٢) التقصير في حقوق الجار (ص ٣١-٣٣).

(٣) فيض القدير (١/٥١٠).

(٤) المرجع السابق.



وقال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

١٤٦٨- عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبدٌ حتى يحبَّ جاره - أو قال: (لأخيه) - ما يحبُّ لنفسه»، متفق عليه. [اللفظ لمسلم، ورواية البخاري ليس فيها (لجاره)].

١٤٦٩- وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»، متفق عليه.

١٤٧٠- وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ»، أخرجه البخاري.

١٤٧١- وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْفَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ» رواه مسلم.

١٤٧٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»، أخرجه مسلم.

١٤٧٣- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ دَلَّ عَلَىٰ خَيْرٍ، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»، أخرجه مسلم.

١٤٧٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعِطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ أَتَىٰ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ»، أخرجه البيهقي. [وأحمد في المسند (٥٤٦٥) وأبو داود في السنن (٥٠٢١) واللفظ له، وصحَّحه ابن حبان في الصحيح (٣٤٠٨) والحاكم في المستدرک (١٥٢٢)].

التوضيح:

- أن يهجر: قال ابن حجر: الهجر: ترك الشخص مكالمة الآخر إذا تلاقيا^(١).
- معروف: المعروف ما عُرف حسنه بالشرع، وبإزائه المنكر، وهو ما أنكره وحرمه.
- «من استعاذكم بالله فأعيدوه»: العوذ: اللجأ إلى شيء يقي من يلجأ إليه ما يخافه.

(١) فتح الباري (١٠/٤٩٢).



- ١ - اتفق الفقهاء على جواز هجر من كان من عامة المسلمين لمدة لا تزيد عن ثلاثة أيام^(١) لسبب يقتضي ذلك، وأما هجر ذوي الأرحام، فذهب الجمهور إلى القول بجوازه ما لم يزد عن ثلاثة أيام، خلافاً للحنابلة الذين كرهوه في حق الأقارب والأرحام^(٢).
- ٢ - الراجح ما قرره جماعة من الشافعية، واختاره ابن تيمية: من التفريق في مدة الهجر بين ما إذا كان لحق الله؛ فيجوز أن تزيد عن ثلاثة أيام، وما كان لحق العباد بسبب تقصير في حق الصحبة؛ فيجب أن لا تزيد عن ثلاثة أيام^(٣).
- ٣ - الرواة والشهود والأمناء على الصدقات والأوقاف والأيتام ونحوهم: يجب جرحهم عند الحاجة، ولا يحل الستر عليهم إذا رأى منهم ما يقدر في أهليتهم، وليس هذا من الغيبة المحرمة، بل من النصيحة الواجبة، وهذا مجمع عليه^(٤).
- ٤ - قوله ﷺ في حديث ابن عمر: «من استعاذكم بالله فأعيزوه» أي قال: أعوذ بالله منك، فإنه يجب إعادته؛ لأنه استعاذ بالعظيم سبحانه، ولكن يستثنى من ذلك ما لو استعاذ من أمر واجب عليه، فلا يعاد، مثل أن تلزمه بصلاة الجماعة، فيقول: أعوذ بالله منك.
- ٥ - وفيه دليل على أن الاستعادة بالملوك بما يقدر عليه جائزة، كما أن السؤال عند الحاجة جائز^(٥).
- ٦ - وقوله ﷺ: «من سألكم بالله فأعطوه» الأمر للوجوب، ما لم يتضمن السؤال إثماً أو ضرراً على المسؤول؛ لأن في إعطائه إجابة لحاجته، وتعظيماً لله عز وجل الذي سأل به، ولا يشترط أن يكون سؤاله بلفظ الجلالة، بل بكل اسم يختص بالله تعالى.
- ٧ - إن لم تمكن مكافأة صاحب المعروف فيدعوله، ويكون الدعاء بعد الإهداء مباشرة؛ لأنه من باب المسارعة إلى أمر الرسول ﷺ، ولأن به سرور صانع المعروف، ثم يدعوله سراً حتى يغلب على ظنه أنه قد كافأه^(٦).

(١) مجموع الفتاوى (٢٠٦/٢٨).

(٢) الآداب الشرعية (١/٢٦٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٠٦/٢٨).

(٤) شرح النووي على مسلم (١٣٥/١٦).

(٥) توضيح الأحكام (٧/٣٥١).

(٦) القول المفيد (٢/٢٥٢-٢٥٦).



الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

١ - توثيق عرى الأخوة في الله من أعظم مقاصد الإسلام، وأقوى القواعد التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي، وبها يحصل الوداد والوثام بين الناس، فيتحابون ويتزاورون ويتناصحون ويتناسبون ويأتمرون بالمعروف ويتناهون عن المنكر، وبها يجدون حلاوة الإيمان في معاملاتهم ومصاحباتهم ومعاشراتهم، وبها يحققون اللحمة الإسلامية المتمثلة في الأخوة الإيمانية؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

٢ - وفي حديث أنس أن المؤمن لا يكمل إيمانه الكمال الواجب، ولا تبرأ ذمته حتى يجب لإخوانه ما يجب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، ويعاملهم بمثل الذي يجب أن يعاملوه به، فكيف يجوز له ظلمهم، ومنعهم حقوقهم، وأذيتهم والبغي عليهم، والتعدي على أبدانهم أو أعراضهم أو أموالهم؟!

٣ - قال الماوردي عن حديث جابر: (المعروف نوعان: قول، وعمل؛ فالقول: طيب الكلام وحسن البشر، والتودد بجميل القول، والباعث عليه حسن الخلق ورقة الطبع، والعمل: بذل الجاه، والإسعاف بالنفس، والمعونة في النائبة، والباعث عليه حب الخير للناس وإيثار الصلاح لهم، وهذه الأمور تعود بنفعين: نفع على فاعلها في اكتساب الأجر وجميل الذكر، ونفع على المعان بها في التخفيف والمساعدة، فلذلك سماه هنا صدقة)^(١).

٤ - وقال النووي عن حديث أبي ذر: «وفيه الحث على فضل المعروف، وما تيسر منه - وإن قل - حتى طلاقة الوجه عند اللقاء»^(٢).

٥ - وحديثا جابر وأبي ذر يدلان على أن الصدقة لا تنحصر فيما هو أصلها، وهو ما أخرجه الإنسان من ماله متطوعاً؛ فليست مخصوصة بأهل اليسار، بل كل أحد قادر على أن يفعلها في أكثر الأحوال من غير مشقة؛ فإن كل شيء يفعلُه الإنسان، أو يقوله من الخير: يكتب له به صدقة.

(١) أدب الدنيا والدين (١/٢٤٧).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٦/١١٧).



٦- لعل من حكم تنويع العبادات وأنواع البر: امتحان العباد بالقيام بها؛ فإن منهم من تسهل عليه العبادات المالية دون البدنية، ومنهم من تسهل عليه العبادات البدنية دون المالية، فأراد جل وعلا اختبار عباده؛ من يقدم طاعة ربه على هوى نفسه، كما أن تنويعها؛ ليقوم كل مرید للخير بما يقدر عليه، وما يناسبه^(١).

٧- وفي حديث أبي هريرة دليل على فضل إعانة المسلم، وتفريج الكرب عنه، وستر زلاته، ويدخل في كشف الكرب وتفريجها من أزالها بهاله أو جاهه أو مساعدته، والظاهر أنه يدخل فيه من أزالها بإشارته ورأيه ودلالته.

٨- الستر المندوب إليه في الحديث: المراد به الستر على ذوي الهيئات، ونحوهم ممن ليس معروفاً بالأذى والفساد، وهذا الستر مندوب، فلو رفعه إلى السلطان ونحوه؛ لم يَأْثَمَ بالإجماع، لكن هذا خلاف الأولى. فأما المعروف بالأذى والفساد؛ فيستحب ألا يستر عليه، بل ترفع قضيته إلى ولي الأمر - إن لم يُحْفَ من ذلك مفسدة - لأن الستر على هذا يطمعه في الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات، وجسارة غيره على مثل فعله.

٩- ومُجْمَلُ الحديث دلت على أن الله تعالى يجازي العبد من جنس فعله^(٢).

١٠- وأما قوله في حديث ابن مسعود: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ» اختار القرطبي أنه مثله، في القدر والتضعيف، قال: (لأن الثواب على الأعمال إنما هو بفضل من الله، فيهبه لمن يشاء على أي شيء صدر منه؛ خصوصاً إذا صحت النية التي هي من أصل الأعمال في طاعة عجز عن فعلها لمانع منعه منها، فلا بُعْدَ في مساواة أجر ذلك العاجز لأجر القادر الفاعل أو يزيد عليه، قال: وهذا جار في كل ما ورد مما يشبه ذلك، كحديث: «من فطر صائماً فله مثل أجره»^(٣).

(١) توضيح الأحكام (٧/ ٣٤٢).

(٢) توضيح الأحكام (٧/ ٣٤٨).

(٣) الديباج على مسلم (٤/ ٤٨٩).



١١ - ومن أفضل الأعمال الصالحة التي يتعدى نفعها، وتبقى ثمارها: العلم النافع، الذي هو شرع الله تعالى من أصوله وفروعه، وما أعان على فهمه، فمن نشر هذا العلم، فقد ضرب بسهم وافر من القدوة الحسنة، فقد قال ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» متفق عليه (١).

١٢ - قوله ﷺ: «من صنع إليكم معروفاً، فكافئوه»: لمكافأة صاحب المعروف فائدتان:
الأولى: تشجيع ذوي المعروف على فعل المعروف.

الثانية: أن الإنسان يكسر بها الذل الذي حصل له بصنع المعروف إليه؛ لأن من صنع إليك معروفاً فلا بد أن يكون في نفسك رقة له، فإذا رددت إليه معروفة زال عنك ذلك؛ لئلا يري الإنسان لأحد عليه منة إلا الله عز وجل.

طريقة الاستدلال:

١ - قال ابن حجر: (ومن الإيمان أيضاً أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه من الشر، ولم يذكره؛ لأن حب الشيء مستلزم لبغض نقيضه، فترك التنصيص عليه اكتفاء) (٢).

٢ - استدل الجمهور بعموم الأدلة الدالة على جواز الهجر لما لا يزيد عن ثلاثة أيام، فإن الأدلة عامة في دلالتها ولا يجوز تخصيصها بغير ذوي الأرحام إلا بمخصص، ولم يرد الدليل المخصص.

٣ - دلّ الجمع بين الأدلة على التفريق بين الهجر للدنيا، والهجر للآخرة: فالنبي ﷺ هجر زوجته شهراً، وهجر الذين تخلفوا عن غزوة تبوك خمسين يوماً، وأمر بهجرهم كذلك، وكان ذلك لمصالح دينية، ويبقى عموم حديث أبي أيوب فيما يتعلق بأمر الدنيا.

٤ - قوله ﷺ: «من سألكم بالله»: (من): شرطية للعموم، وقوله: «فأعطوه»: الأمر هنا للوجوب: ما لم يتضمن السؤال إثماً أو ضرراً على المسؤول.



(١) توضيح الأحكام (٧/٣٤٩).

(٢) فتح الباري (١/٥٨).

باب الزهد والورع

المشبهات:

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ [آل عمران: ٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ [الحج: ١١].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ [الأنعام: ٣٢].

١٤٧٥ - عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ - وَأَهْوَى النُّعْمَانَ بِإِضْبَاعِهِ إِلَى أُذُنَيْهِ -: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ، وَالْحَرَامَ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ، فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»، متفق عليه.

التوضيح:

- حِمَى: أي: منطقة كان يحميها عن غيره، ويتوعد من اقتراب منها بالعقوبة.
- أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ: أي المعاصي التي حرّمها الله تعالى.
- في الجسد مضغعة: أي: قطعة لحم بقدر ما يمضغ تقريباً؛ والمراد: القلب.

الدلالات الفقهية:

- ١ - في الحديث سد الذرائع وتحريم الوسائل إلى المحرمات.
- ٢ - وفيه دليل على صحة القياس وتمثيل الأحكام وتشبيهاها.
- ٣ - وفيه دليل على أن المصيب من المجتهدين في مسائل الاشتباه واحد، لأنه جعل المشبهات لا يعلمها كثير من الناس مع كون بعضهم في طلب حكمها مجتهدين، فدلّ على أن من

يعلمها هو المصيب العالم بها دون غيره ممن هي مشتبهة عليه، وإن كان قد يجتهد في طلب حكمها ويصير إلى ما أداه إليه اجتهاده وطلبه.

٤ - وقوله ﷺ: «ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام»، يحتمل وجهين؛ أحدهما: أنه من كثر تعاطيه الشبهات يصادف الحرام وإن لم يتعمده، وقد يَأْثَمُ به، وذلك إذا نسب إلى تقصير. والثاني: أنه يعتاد التساهل ويتمرّن عليه، وينتقل من شبهة إلى شبهة أغلظ من الأولى، وهكذا حتى يقع في الحرام عمدًا، وهذا نحو قول السلف: إن المعاصي بريد الكفر، أي تسوق إليه، عافانا الله من الشرك.

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - في الحديث الأخذ بالورع، وهذا الحديث أصل كبير في الأخذ به وترك الشبهات.
- ٢ - جاءت الشريعة بالحث على ترك الشبهات؛ لأن ارتكابها ذريعة إما إلى الوقوع في الحرام بغير قصد، وإما إلى اتخاذها مطية لأغراض فاسدة، فمن احتاط لنفسه؛ فلم يقرب الشبهات، فلا يقع في واحد من هذين المحظورين.
- ٣ - من مظاهر العمل بترك الشبهات في الشريعة: أن الشرع حثّ المسلم على اجتناب مواطن التهم حتى لا يتعرض لإساءة الظن بدينه، ومن ذلك قصته ﷺ مع صفية حين أراد أن يودّعها عندما زارته في اعتكافه، وحديث امتناعه ﷺ أن يأكل التمرة التي رآها ملقاة خشية أن تكون من الصدقة، وغير ذلك كثير^(١).
- ٤ - وفي الحديث دليل على أن طلب البراءة للعرض ممدوح كطلب البراءة للدين.
- ٥ - قال ابن القيم: (لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها، كانت طرقها وأسبابها تابعة لها، معتبرة بها، فوسيلة المقصود تابعة للمقصود، وكلاهما مقصود، فإذا حرمّ الرب تعالى شيئاً وله طرق ووسائل تفضي إليه فإنه يحرّمها، ويمنع منها تحقيقاً لتحريمه، وتثبتاً له، ومنعاً أن يقرب حماه، ولو أباح الوسائل المفضية إليه لكان ذلك نقصاً في التحريم، وإغراء للنفوس به، وحكمته تعالى تأبى ذلك)^(٢).

(١) مجلة البيان (العدد ٦٩ ص ١٥).

(٢) أعلام الموقعين (٣/ ١٤٧).



٦ - القلب هو السلطان المدبر لمملكة الأعضاء، وما تأتي من أعمال؛ فعليه مدار فسادها أو صلاحها. فإذا صلح القلب فإنه لن يأمر إلا بما فيه الخير، وسيصلح الجسد كله، وإن فسد فسيأمر بالفساد والشر، وتكون الأعمال معكوسة منكوسة^(١).

طريقة الاستدلال:

أخذ العلماء من الحديث قاعدتين:

الأولى: قاعدة: (سد الذرائع). وقد سبق الكلام عليها.

والثانية: قاعدة: (الخروج من الخلاف مستحب): وهذه القاعدة سندها الشرعي؛ فهي ضرب من الورع المشروع، والاحتياط في الدين، وترك الشبهات؛ ليسلم للمرء دينه وعرضه^(٢).

● الزهد في الدنيا:

● قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَتْ يَرْيُدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلِّيهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَتْ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

١٤٧٦ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدَّرْهَمُ، وَالْقَطِيفَةُ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ»، أخرجه البخاري.

١٤٧٧ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِسَقَمِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»، أخرجه البخاري.

التوضيح:

- تعس: أي عثر فسقط لوجهه.

- القطيفة: نوع من الأكسية، وهي الثوب الذي له خمل.

- الغريب: من لا مسكن له يأويه، ولا سكن يأنس به، ولا بلد يستوطن فيه.

(١) توضيح الأحكام (٧/ ٣٥٥).

(٢) قواعد فقهية لترشيد الصحوة الإسلامية (ص ٥٥)، مجلة البيان (العدد ١٤٢ ص ١٨).



الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - أراد بعبد الدينار والدرهم: من استعبده الدنيا بطلبها، وصار كالعبد لها؛ تتصرف فيه تصرف المالك؛ لينالها وينغمس في شهواتها ومطالبها.
- ٢ - وذكر الدينار والقطيفة مجرد مثال، وإلا فكل من استعبده الدنيا في أي أمر، وشغلته عما أمر الله تعالى، وجعل رضاه وسخطه متعلقاً بنيل ما يريد، أو عدم نيله؛ فهو عبده.
- ٣ - المذموم من الدنيا: كل ما يعبد العبد عن الله تعالى، ويشغله عن واجب طاعته وعبادته، لا ما يعينه على الأعمال الصالحة، فإنه غير مذموم، وقد يتعين طلبه، ويجب عليه تحصيله.
- ٤ - قوله: «رَضِيَّ» أي: عن الله بما ناله من حظاها، وقوله: «وإن لم يعط لم يرض» أي: عنه تعالى، ولا عن نفسه، فصار ساخطاً، فهذا الذي تعس، والحديث نظير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١] (١).
- ٥ - وفي أثر ابن عمر أن الشخص يجعل الموت بين عينيه، فيسارع إلى الطاعات، ويغتني الأوقات بالأعمال الصالحات، ويقصر الأمل، فلا يركن إلى غرور الدنيا؛ فإنه كالغريب أو عابر السبيل، لا يدري متى يصل إلى وطنه مساءً أو صباحاً، والمسافة هي أيام العمر القصار (٢).
- ٦ - قال ابن بطال: (لما كان الغريب قليل الانبساط إلى الناس، بل هو مستوحش منهم، لا يكاد يمر يوم فيأنس به، فهو ذليل في نفسه خائف، وكذلك عابر السبيل، لا ينفذ في سفره إلا بقوته، وتخفيفه من الأثقال، غير متمسك بما يمنعه عن قطع سفره، معه زاده وراحلته يبلغانه إلى ما يعنيه من مقصده، وفي هذا إشارة إلى إيثار الزهد في الدنيا، وأخذ البلغة منها؛ إذ لا يحتاج المسافر إلى أكثر مما يبلغه إلى غاية سفره، فكذلك المؤمن لا يحتاج في الدنيا إلى أكثر مما يبلغه المحل).
- ٧ - وفيه الإخبار بأنه لا بد للإنسان من الصحة والمرض، فيغتني أيام صحته، وينفق ساعاته فيما يعود عليه نفعه، فإنه لا يدري متى ينزل به مرض يحول بينه وبين فعل الطاعة، ولأنه إذا مرض كتب له ما كان يعمل صحيحاً، فقد أخذ من صحته لمرضه حظه من الطاعات.

(١) سبل السلام (٤/ ١٧٤).

(٢) المرجع السابق (٧/ ٣٦١).



٨ - وقوله: «من حياتك لموتك»: أي خذ من أيام الحياة والصحة والنشاط لموتك بتقديم ما ينفعك بعد الموت^(١).

طريقة الاستدلال:

تسمية النبي ﷺ له بكونه عابداً للدينار والدرهم وما تلاهما فيه دلالة على التحريم؛ فإن ظاهره الشرك، ولكنه محمول على التحريم فقط؛ للأدلة الدالة على أن المسلم قد يقع في ذلك ولا يكفر.

التشبه بالكافرين:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رِعْسًا وَقُولُوا نَقْلًا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤]

قال ابن كثير: (فيه دلالة على النهي الشديد والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم، ولباسهم وأعيادهم، وعباداتهم وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ولا نقرر عليها).

١٤٧٨ - عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»، أخرجه أبو داود، وصححه ابن حبان. [إسناده ضعيف، ضعفه الزركشي في اللآلئ المنثورة (ص: ١٠١)، وعلّق البخاري في الصحيح (٤/ ٤٠) طرفاً من هذا الحديث بصيغة الترميض].

الدلالات الفقهية:

١ - التشبه المحرم: هو أن يأتي الإنسان بما هو من خصائص الكفار والفساق بحيث لا يشاركهم فيه أحد؛ كلباس لا يلبسه إلا الكفار، فإن كان اللباس شائعاً بين الكفار والمسلمين فليس تشبهاً.

٢ - وهل يشترط قصد التشبه أو لا؟ من نظر إلى العلة عرف أنه متى حصل التشابه ثبت الحكم، ولهذا نص شيخ الإسلام على أنه متى حصلت المشابهة - ولو بغير قصد - ثبت الحكم؛ وذلك لأن العلة لا تختلف بالقصد وعدمه؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وبكل حال يقتضي تحريم التشبه بعلته كونه تشبهاً. والتشبه يعم من فعل الشيء لأجل أنهم فعلوه - وهو نادر - ومن تبع غيره في فعل لغرض له في ذلك، إذا كان أصل الفعل مأخوذاً عن

(١) سبل السلام (٤/ ١٧٤-١٧٥).

ذلك الغير. فأما من فعل الشيء واتفق أن الغير فعله أيضًا ولم يأخذه أحدهما عن صاحبه، ففي كون هذا تشبهًا نظر، لكن قد ينهى عن هذا لئلا يكون ذريعة إلى التشبه، ولما فيه من المخالفة، كما أمر بصنع اللحي وإحفاء الشوارب، مع أن قوله ﷺ: «غيروا الشيب، ولا تشبهوا باليهود» دليل على أن التشبه بهم يحصل بغير قصد منا، ولا فعل بل بمجرد ترك تغيير ما خلق فينا وهذا أبلغ من الموافقة الفعلية الاتفاقية^(١).

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - من تشبه بالكفار من المسلمين في أمورهم المختصة بهم، فتشبهه الظاهر يدعو إلى شبههم في الباطن، فيرتضي زيهم، وسمتهم، فيكون معهم^(٢).
- ٢ - الوسائل لها أحكام المقاصد، فيجب سد الذرائع المفضية إلى المحرمات والشُرور؛ لئلا تفضي إلى مقاصدها^(٣).
- ٣ - ينبغي للمسلم أن يتحلى بعلو الهمة وسمو النفس، وألا يكون إمعة يتبع كل ناعق ويقلد كل من هبّ ودب، كما يحصل من بعض الجهال في تشبههم بالكفار من لاعبين أو ممثلين أو غيرهم، وهذا كله دليل على افتقارهم لتعزيز القدوة الحسنة في نفوسهم ليتحرروا من التخبط في اختيار القدوات السيئة وتقليد الفساق.

طريقة الاستدلال:

قوله: «مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»: ليس المراد منه أن من فعل ذلك كان كافرًا بإطلاق، قال شيخ الإسلام: (أقل أحوال هذا الحديث التحريم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم فقد يحمل هذا على التشبه المطلق فإنه يوجب الكفر، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك، وقد يحمل على أنه منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه؛ فإن كان كافرًا، أو معصية، أو شعارًا لها كان حكمه كذلك)^(٤).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٧٢).

(٢) توضيح الأحكام (٧/ ٣٦٣).

(٣) المرجع السابق نفسه.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٧١).

● احفظ الله يحفظك :

قال الله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠].

وقال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨].

وقال الله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥].

١٤٧٩ - عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً، فقال: «يَا غُلَامُ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»، رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح. [قال العقيلي في الضعفاء (٤/ ٢٨٠): هذا المتن يروى عن ابن عباس وغيره، عن النبي ﷺ بأسانيد لينة].

التوضيح:

- يا غلام: كان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا صغيراً، فقد توفي النبي ﷺ وعمره ثلاث عشرة سنة.
- احفظ الله: أي احفظ حدوده، وحقوقه، وأوامره ونواهيه.
- يحفظك: أي: من الآفات والمكروهات، وفي الآخرة من أنواع العقوبات، جزاء وفاقاً، فبقدر حفظ الإنسان لدين الله يكون حفظ الله تعالى له.
- تجده تجاهك: أي أمامك في كل أحوالك، يحوطك وينصرك ويوفئك ويسدّدك.

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - حفظ الله تعالى يكون بالوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده؛ فلا يتجاوز ما أمر به وأذن فيه إلى ما نهى عنه، فمن فعل ذلك فهو من الحافظين لحدود الله.
- ٢ - حفظ الله لعبده الحافظ لدينه، يكون في أمرين:

الأول: حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرّمة، ويحفظ عليه دينه عند موته، فيتوفاه على الإيمان. هذا هو الأمر الأول، وهو أعظمهما وأشرفهما، فبه يحفظ الله عبده من الزيغ والضلال؛ لأن الإنسان كلما اهتدى زاده الله هدى، وكلما ضل ازداد ضلالاً.

الثاني: حفظ الله للعبد في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، ومن حفظ الله في صباه وقوته حفظه الله في حال كبره وضعف قوته، ومتمّعه بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله^(١).

(١) جامع العلوم والحكم (ص ٢٤٨).

- ٣ - قوله ﷺ: «احفظ الله تجده تجاهك»؛ أي في كل أحوالك، يحوطك وينصرك ويوفقك ويسدك^(١).
- ٤ - قوله ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله» سؤال الله تعالى هو دعاؤه والرغبة إليه، فيسأل الله تعالى ولا يسأل غيره من المخلوقين؛ لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل، وفيه الاعتراف بقدرة المسؤول على رفع هذا الضرر، وجلب المنافع، ودفع المضار، ولا يصلح الذل والافتقار إلا لله وحده. والله سبحانه يجب أن يسأل، ويُلجَّح في سؤاله، والمخلوق بخلاف ذلك، يكره أن يسأل، ويجب أن لا يسأل؛ لعجزه وفقره وحاجته^(٢).
- ٥ - قوله ﷺ: «وإذا استعنت فاستعن بالله» أي: فاستعن بالله عز وجل دون غيره من الخلق؛ لأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه، ودفع مضاره، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله عز وجل، فمن أعانته الله فهو المعان، ومن خذله فهو المخذول، وهذا تحقيق معنى قول: «لا حول ولا قوة إلا بالله»؛ فإن المعنى: لا تحوّل للعبد من حال إلى حال، ولا قوة له على ذلك إلا بالله، وهذه كلمة عظيمة وهي كنز من كنوز الجنة، فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات، وترك المحظورات، والصبر على المقدورات كلها في الدنيا وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله عز وجل، فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانته، ومن ترك الاستعانة بالله، واستعان بغيره، وكله الله إلى من استعان به فصار مخذولاً^(٣).

• من جوامع الآداب والأخلاق:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَرِّقْ رِيكَ حَيْرًا وَأَنْتَ﴾ [طه: ١٣١].

وقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤].

(١) ينظر: شرح الأربعين النووية (ص ٥٥).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ٢٥٦).

(٣) ينظر: جامع العلوم والحكم (١/ ٤٨١).

وقال الله تعالى عن إخفاء العمل: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١].

وقال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَسْيَآءِ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْفُرْقَانُ يُبَدَّ لَكُمْ عَقَابُ اللَّهِ عَنَّا وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١١٦﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ [المائدة: ١٠١، ١٠٢].

وقال الله تعالى: ﴿يَبْنِي ءَادَمَ خُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقال الله تعالى في وصف ابن آدم: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وقال الله تعالى: ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا إِلَيْكَ خَيْرٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ٧٤].

وقال الله تعالى عن الصمت: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

١٤٨٠ - عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ. فَقَالَ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبِّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيهَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبِّكَ النَّاسُ»، رواه ابن ماجه وغيره، وسنده حسن. [أنكره أحمد فيما نقله ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/ ٨٥٣)، وأبو حاتم في العلل (١٨١٥)، وغيرهما].

١٤٨١ - وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ»، أخرجه مسلم.

١٤٨٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ، تَرْكُهُ مَا لَا يَعْينُهُ»، رواه الترمذي، وقال: حسن. [أعله بالإرسال البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ٢٢٠)، والترمذي في السنن (٢٣١٨)، والدارقطني في العلل (٤/ ١٩)، وغيرهم].

١٤٨٣ - وعن المقدم بن معديكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ»، أخرجه الترمذي وحسنه. [فيه انقطاع].

١٤٨٤ - وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»، أخرجه الترمذي وابن ماجه، وسنده قوي. [قال أحمد كما في العلل للخلال (٤١): منكر].



١٤٨٥ - وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الصَّمْتُ حِكْمَةٌ، وَقَلِيلٌ فَاعْلُهُ»، أخرجه البيهقي في الشعب بسند ضعيف، وصحَّح أنه موقوف من قول لقمان الحكيم. [وصحَّح وقفه العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢ / ٧٦٥)].

التوضيح:

- الزهد: الاقتصار على قدر الضرورة مما يتيقن حله.
- التقى: من يترك المعاصي امتثالاً للأمر واجتناباً للنهي.
- الغني: أي: غني النفس، وهو الغنى المطلوب.
- الخفي: حامل الذكر، المعتزل عن الناس، الذي يُخفي عنهم مكانه ليتعبد.
- خطأ: أي كثير و الخطأ؛ إذ هو صيغة مبالغة.

الدلالات الفقهية:

- ١ - في حديث سهل بن سعد دليل على جواز طلب محبة العباد، والسعي فيما يكسب ذلك، بل هو مندوب إليه أو واجب، كما قال ﷺ: «والذي نفسي بيده: لا تؤمنوا حتى تحابوا»، وأرشد ﷺ إلى إفشاء السلام؛ فإنه من جوارب المحبة، وإلى التهادي ونحو ذلك (١).
- ٢ - وفي المفاضلة بين الكلام والصمت، يقول ابن تيمية: (فالتكلم بالخير خير من السكوت عنه، والصمت عن الشر خير من التكلم به، فأما الصمت الدائم فبدعة منهي عنها) (٢).

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - حديث سهل بن سعد دليل على شرف الزهد وفضله، وأنه يكون سبباً لمحبة الله لعبده، ومحبة الناس له؛ لأن من زهد فيما هو عند العباد أحبوه؛ حيث جبلت الطبائع على استئصال من أنزل بالملخوقين حاجاته، وطمع فيما في أيديهم.
- ٢ - الغني: هو الذي استغنى بربه عن الناس، لا يسأل الناس شيئاً، ولا يتعرض لهم بتذلل، بل هو غني عنهم مستغن بربه، لا يلتفت إلى غيره.
- ٣ - الخفي: هو الذي لا يظهر نفسه، ولا يهتم أن يظهر عند الناس، أو يشار إليه بالبنان، أو يتحدث الناس عنه.

(١) سبل السلام (٤/١٧٧).

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص ٦١).



- ٤ - في الحديث إشارة إلى فضل العزلة، وقد ذكروا للعزلة فوائد منها:
- أ - التفرغ للعبادة، والاستئناس بمناجاة الله سبحانه.
- ب - التخلص من المعاصي التي يتعرض لها الإنسان بالمخالطة، من الفتن، والرياء، ونحوهما.
- ج - الخلاص من الفتن والخصومات.
- د - الخلاص من شر الناس (١).
- ٥ - وأما حديث أبي هريرة، فهو من جوامع الكلم النبوية، قال الإمام الغزالي: (وحدُّ ما لا يعينك في الكلام: أن تتكلم بكل ما لو سكتَّ عنه لم تأثم، ولم تتضرر في حال ولا مآل، فإنك به مضيع زمانك؛ لأنك به أنفقت وقتك الذي خير لك لو صرفته في الفكر والذكر، فمن قدر على أن يأخذ كنزًا من الكنوز، فأخذ بدله مدرة لا يتتفع بها، كان خاسرًا) (٢).
- ٦ - ودلَّ حديث المقدم بن معديكرب على ذم التوسع في المأكول والشبع والامتلاء والإخبار عنه بأنه شر؛ لما فيه من المفساد الدينية والبدنية، فإن فضول الطعام مجلبة للسقام، ومثبطة عن القيام بالأحكام.
- ٧ - ومنافع قلة الطعام للجسد لا تخفى، وأما منافعه بالنسبة للقلب وصلاحه: فإن قلة الغذاء توجب رقة القلب، وقوة الفهم، وانكسار النفس، وضعف الهوى والغضب، وكثرة الغذاء توجب ضد ذلك.
- ٨ - ودلَّ حديث أنس على أنه لا يخلو من الخطيئة إنسان؛ لما جبل عليه هذا النوع من الضعف وعدم الانقياد لمولاه في فعل ما إليه دعاه، وترك ما عنه نهاه، ولكنه تعالى بلطفه فتح باب التوبة لعباده، وأخبر أن خير الخطائين التوابون المكثرون للتوبة، والمسارعون إليها كلما وقعوا في الخطيئة.
- ٩ - وفي حديث أنس ونحوه من الأحاديث في بابه دلالة على أن العبد إذا عصى الله، وتاب: تاب الله عليه، ولا يزال كذلك، ولن يهلك على الله إلا هالك (٣).
- ١٠ - وفي الأثر الأخير دليل على فضل الصمت، وعلى حسنه ومدحه، والمراد به الصمت عن فضول الكلام.

(١) توضيح الأحكام (٧/ ٣٧٣).

(٢) توضيح الأحكام (٧/ ٣٧٦).

(٣) سبل السلام (٤/ ١٨٠).



طريقة الاستدلال:

- ١ - قوله: «ازهد في الدنيا يُحبك الله»: مفهومه: أنك إذا أحببتها وتعلقت بحطامها أبغضك الله.
- ٢ - في قوله ﷺ: «من حسن المرء تركه ما لا يعنيه» ثلاث فوائد ذكرها الأصوليون:
الأولى: قال أبو داود: يكفي الإنسان لدينه أربعة أحاديث: حديث: «الأعمال بالنيات»،
وحديث: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، وحديث: «الحلال بين والحرام بين»،
وحديث: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً»^(١).
- الثانية: ذكر العلماء في آداب المستفتي: أنه لا ينبغي للمستفتي أن يسأل عما يبعد وقوعه أو لا يمكن وقوعه؛ للحديث^(٢).
- الثالثة: شرط بعض العلماء في جواز رواية الخبر بالمعنى: أن لا يكون الخبر من جوامع الكلم، فإن كان من جوامع الكلم -كقوله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»- فإنه لا يصح روايته بالمعنى^(٣).
- ٣ - قوله: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ»: عام، وقد خُصَّ من هذا العموم: يحيى بن زكريا عليه السلام؛ فإنه قد ورد أنه ما هم بخطيئة، فقد قال النبي ﷺ: «ما من أحد من ولد آدم إلا قد أخطأ، أو هم بخطيئة، ليس يحيى بن زكريا»^(٤).



(١) الأشباه والنظائر للسبكي (١/٦٥).

(٢) معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة (ص ٥١٦).

(٣) إرشاد الفحول (ص ١٥٦).

(٤) أخرجه أحمد (٢٢٩٤)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٦/١٢٠٦).

باب الترهيب من مساوئ الأخلاق

من أمراض القلوب: (الحسد):

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝۱ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝۲ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝۳ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝۴ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ١ - ٥].

١٤٨٦ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ، كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»، أخرجه أبو داود. [ضعفه البخاري في التاريخ الكبير (١/٢٧٣)، وغير واحد].
ولابن ماجه من حديث أنس نحوه. [إسناده ضعيف جداً].

التوضيح:

- الحسد: تمنّي زوال نعمة المحسود إلى الحاسد^(١). وتفارق الغبطة الحسد بأنها تمنّي تحصيل مثل نعمة المغبوط من غير تمنّي زوالها عنه^(٢).
- فإنّ الحسد يأكل الحسنات: أي: يذهبها، ويحرقها، ويمحو أثرها^(٣).

الدلالات الفقهية:

دل الحديث على تحريم الحسد، وهو حرام من وجهين: أحدهما: أنه تسخّط على قدر الله تعالى وحكمته في تفضيل بعض عباده على بعض؛ ولذا قيل:

ألا قل لمن كان لي حاسداً *** أتدري على من أسأت الأدب

أسأت على الله في حكمه *** لأنك لم ترض لي ما وهب

والوجه الثاني: أنه بغّي على المحسود وظلم له، فإن وقع للحاسد الخاطر بالحسد فدفعه وجاهد نفسه في دفعه فلا إثم عليه، بل لعله مأجور في مدافعة نفسه. فإن سعى في زوال نعمة لمحسود فهو باغ، وإن لم يسع ولم يظهره لمانع العجز، فإن كان بحيث لو أمكنه لفعل فهو

(١) التعريفات للرجزاني (ص ٨٧).

(٢) ينظر: فيض القدير (٣/١٢٥).

(٣) مرعاة المفاتيح (٨/٣١٥٥).



مأزور وإلا فلا. أي لا وزر عليه؛ لأنه لا يستطيع دفع الخواطر النفسانية فيكفيه في مجاهدتها أن لا يعمل بها ولا يعزم على العمل بها^(١).

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

١ - الحديث تمسك به من يرى إحباط جميع الطاعات بالكبائر كالمعتزلة، وأجيب عنه بأن معنى الحديث: أن الحسد يذهب من حسنات الحاسد كما روي في حديث أبي هريرة في باب الظلم أنه ﷺ قال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وقيام، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه، ثم طرح في النار»، ولا إحباط للطاعات جملة بالمعاصي، وإلا لم تكن تبقى لهذا المتعاطي للكبائر حسنة يقضي بها حق خصمه^(٢).

٢ - والحاسد جمع لنفسه بين عذابين؛ لأن حسده على نعمة الدنيا وكان معذبًا بالحسد، وما قنع بذلك حتى أضاف إليه عذابًا في الآخرة، فقد قصد محسوده فأصاب نفسه وأهدى إليه حسناته؛ فهو صديقه وعدو نفسه^(٣).

٣ - قوله: «كما تأكل النار الحطب» فيه إشارة إلى سرعة إبطال الحسد للحسنات^(٤)، كما أنه من بديع الكلام؛ فإنه لما كان الحسد جمره تلتهب في فؤاد الحاسد أكلت نار حسده حسناته، فلم يُحصّل من حسده إلا التهاب قلبه وذهاب حسناته^(٥).

● من أمراض القلوب: (الرياء):

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

(١) ينظر: سبل السلام (٢/ ٦٥٥).

(٢) ينظر: تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للبيضاوي (٣/ ٢٦٥).

(٣) ينظر: فيض القدير (٣/ ١٢٥).

(٤) ينظر: تطريز رياض الصالحين (ص ٨٧٧).

(٥) ينظر: التحبير لإيضاح معاني التيسير (٣/ ٦٣٥).



١٤٨٧ - عن محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ: الرِّيَاءُ»، أخرجه أحمد بإسناد حسن.

التوضيح:

- الرياء: هو أن يعمل الإنسان العمل الصالح لأجل أن يراه الناس فيمدحوه.

الدلالات الفقهية:

١ - الرياء محبط للعمل، وموجب للعقاب، وهو شيء في القلب، وقد سَمَّاه النبي ﷺ الشرك الأصغر، وسَمَّاه الشرك الخفي.

٢ - الرياء المذموم: هو أن يكون الباعث قصد التعظيم والمدح، والرغبة فيما عند مَنْ ترائيه، أو الرهبة منه. وأما من قصد رعايته أو تعليمه أو إظهار السنة وملاحظة هجوم العدو ونحو ذلك: فليس في هذه المشاهد رياء، بل قد يتصدق العبد رياء مثلاً، وتكون صدقته فوق صدقة صاحب السر، مثال ذلك: رجل مضرور سأل قومًا ما هو محتاج إليه، فعلم رجل منهم أنه إن أعطاه سرًّا حيث لا يراه أحد لم يقتد به أحد، ولم يحصل له سوى تلك العطية، وأنه إن أعطاه جهراً أقتدي به وأتبع، وأَنْفَ الحاضرون من تفرَّده عنهم بالعطية، فجهر له بالعطاء، وكان الباعث له على الجهر: إرادة سعة العطاء عليه من الحاضرين، فهذه مراعاة محمودة؛ حيث لم يكن الباعث عليها قصد التعظيم والثناء، وصاحبها جدير بأن يحصل له مثل أجور أولئك المعطين^(١).

٣ - ليس من الرياء أن يفرح الإنسان بعلم الناس بعبادته؛ لأن هذا إنما طرأ بعد الفراغ من العبادة. وليس من الرياء أن يُسرَّ الإنسان بفعل الطاعة؛ لأن ذلك دليل إيمانه، قال النبي ﷺ: «من سرَّته حسنته وساءته سيئته، فذلك المؤمن»، وقد سئل النبي ﷺ عن ذلك فقال: «تلك عاجل بشرى المؤمن»^(٢).

(١) مدارج السالكين (٢/ ٨٤).

(٢) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين (٢/ ٢٩-٣٠).



الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - من علامات الرياء: أن ينشط الإنسان في العمل إذا كان يراه الناس، وإذا كانوا لا يرونه ترك العمل، أو تكاسل عنه تكاسلاً شديداً.
- ٢ - يُنصح من ابتلي بالرياء بالخوف من الله، ويذكر باطلاع الله على ما في قلبه، وشدة عقوبته للمرائين، وبأن عمله سيكون تعباً بلا فائدة، وبأن الناس الذين عمل من أجل مدحهم سيذمونهم ويمقتونه ولا ينفعونهم بشيء^(١).
- ٣ - قوله: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ»: وجه الخوف يأتي من أمرين:
الأول: أنه خفي المداخل، لطيف المسالك، يقع فيه المسلم المتعبد وهو لم يشعر به، إذا كان من الرياء الخفي، الذي هو غالباً يقع في المسلمين المتعبدين.
الثاني: أنه من الشرك، والشرك أعظم الذنوب. ووجوه كونه من الشرك: أن المرابي إذا عبد الله، فهو بمراءاته الناس أشرك بتلك العبادة من يرائيهم من الناس؛ وبهذا فقد أشرك بالله تعالى، إلا أنه من الشرك الأصغر؛ والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَن يَشْرِكْ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]^(٢).
- ٤ - قال ابن القيم: (لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس؛ إلا كما يجتمع الماء والنار، فإذا حدثت نفسك بطلب الإخلاص، فأقبل على الطمع أو لاً فاذبحه بسكين اليأس، وأقبل على المدح والثناء فازهد فيها زهد عشاق الدنيا في الآخرة، فإذا استقام لك ذبح الطمع، والزهد في الثناء والمدح؛ سهل عليك الإخلاص)^(٣).

• من أمراض القلوب: (سوء الظن):

- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].
- ١٤٨٨ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»، متفق عليه.

(١) المنتقى من فتاوى الفوزان (١٢/٤).

(٢) توضيح الأحكام (٤٠١/٧).

(٣) الفوائد (١٤٩/١).



التوضيح:

- سوء الظن: هو امتلاء القلب بالظنون السيئة بالناس؛ حتى يطفح على اللسان والجوارح^(١)، فهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله.

الدلالات الفقهية:

دَلَّ الحديث على تحريم سوء الظن بالمسلم. وليس المقصود به غلبة الظن في دلالات النصوص الشرعية؛ قال الخطابي وغيره: (ليس المراد ترك العمل بالظن الذي تناط به الأحكام غالباً، بل المراد ترك تحقيق الظن الذي يضر بالمتظنون به، وكذا ما يقع في القلب بغير دليل؛ وذلك أن أوائل الظنون إنما هي خواطر لا يمكن دفعها، وما لا يقدر عليه لا يكلف به، ويؤيده حديث: «تجاوز الله للأمة عما حدثت به أنفسها»... وقال القرطبي: (المراد بالظن هنا: التهمة التي لا سبب لها؛ كمن يتهم رجلاً بالفاحشة من غير أن يظهر عليه ما يقتضيها)^(٢).

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

١ - قال الصنعاني: (قوله: «فإن الظن أكذب الحديث»: سباه حديثاً؛ لأنه حديث النفس، وإنما كان الظن أكذب الحديث؛ لأن الكذب مخالفة الواقع من غير استناد إلى أمانة، وقبحه ظاهر لا يحتاج إلى إظهاره. وأما الظن فيزعم صاحبه أنه استند إلى شيء، فيخفى على السامع كونه كاذباً بحسب الغالب، فكان أكذب الحديث، والحديث وارد في حق من لم يظهر منه شتم ولا فحش ولا فجور)^(٣).

٢ - قال ابن القيم: (الفرق بين الاحتراز وسوء الظن: أن المحترز يكون مع التأهب والاستعداد، وأخذ الأسباب التي بها ينجو من المكروه، فالمحترز كالمتسلح المتطوع الذي قد تأهب للقاء عدوه، وأعد له عدته؛ فهمه في تهيئة أسباب النجاة ومحاربة عدوه، قد أشغلته عن سوء الظن به، وكلما ساء به الظن أخذ في أنواع العدة والتأهب، بمنزلة رجل قد خرج بهاله ومركوبه مسافراً، فهو يجترز بجهد من كل قاطع للطريق، وكل مكان يتوقع منه الشرّ.

(١) الروح (ص ٢٣٨).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري [١٠/٤٨١] ح (٦٠٦٤).

(٣) سبل السلام (٤/١٨٩).

وأما سوء الظن فهو امتلاء قلبه بالظنون السيئة بالناس؛ حتى يطفح على لسانه وجوارحه، فهم معه أبداً في الهمز واللمز والطعن والعيب والبغض، يبغضهم ويبغضونه، ويلعنهم ويلعنونه، ويحذرهم ويحذرون منه، فالأول: يخالطهم ويحترز منهم، والثاني: يتجنبهم ويلحقه أذاهم، الأول: داخل فيهم بالنصيحة والإحسان مع الاحتراز، والثاني: خارج منهم مع الغش والدغل والبغض^(١).

طريقة الاستدلال:

ظاهر الحديث المنع من الظن مطلقاً، ولكنه ليس كذلك، فقد قال الله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢] ولم يقل الظن كله؛ لأن الظن المبني على قرائن لا بأس به، فهو من طبيعة الإنسان أنه إذا وجد قرائن قوية توجب الظن الحسن أو غير الحسن، فإنه لا بد أن يخضع لهذا القرائن، لكن الظن المجرد هو الذي حذر منه النبي ﷺ، وقال: إنه أكذب الحديث.

● من أمراض القلوب: (الكبر والخيلاء):

● قال الله تعالى عن كبر قارون وخيلائه: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّادِقُونَ ﴿٧٩﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ بِبَسْطِ الرِّزْقِ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨١﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْأُخْرَىٰ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [القصص: ٧٩ - ٨٣].

١٤٨٩ - عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ، وَاخْتَالَ فِي مَشِيئِهِ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ»، أخرجه الحاكم، ورجاله ثقات. [وصححه ابن حجر أيضاً في إتحاف الخيرة المهرة (٧١٠٣)].

(١) الروح (ص ٢٣٧-٢٣٨).



الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - في الحديث وعيد شديد على من عظم نفسه؛ إما باعتقاد أنه يستحق التعظيم فوق ما يستحقه غيره ممن لا يعلم استحقاقه الإهانة، أو تعاضم بمعنى: تعظم أي: اعتقد في نفسه أنه عظيم، كتكبر: اعتقد أنه كبير، أو يكون تفاعل بمعنى: استفعل، أي طلب أن يكون عظيماً^(١).
- ٢ - الكبر إما أن يكون على الله تعالى، وهو أفحش أنواع الكبر؛ كتكبر النمروذ وفرعون؛ حيث استنكفا أن يكونا عبيدين له تعالى، وإمّا أن يكون على رسوله ﷺ؛ بأن يمتنع من الانقياد له تكبراً، جهلاً وعناداً، كما حكى الله ذلك عن كفار مكة وغيرهم من الأمم، وإمّا أن يكون على العباد؛ بأن يستعظم نفسه، ويحتقر غيره، ويزدر به، أو يترفع عليه، ويأنف من مساواته، وهذا وإن كان دون الأولين إلا أنه عظيم إثمه أيضاً؛ لأن الكبرياء والعظمة إنما يليقان بالملك القادر القوي المتين، دون العبد العاجز الضعيف، فتكبره فيه منازعة لله في صفة لا تليق إلا بجلاله^(٢).

طريقة الاستدلال:

في الحديث دلالة على أن هذا الأمر من الكبائر؛ بدلالة الغضب المتوعد به لمن تعاضم وتكبر، فإن الوعيد بالغضب لا يتناسب إلا مع الكبائر.

● من أمراض القلوب: (الغضب):

● قال الله تعالى في صفات المتقين: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال الله تعالى في صفة المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفُرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]. قال ابن كثير: (أي: سَجِيَّتُهُمْ وَخَلْقُهُمْ وَطَبْعُهُمْ تَقْتَضِي الصَّفْحَ وَالْعَفْوَ عَنِ النَّاسِ، لَيْسَ سَجِيَّتُهُمُ الْإِنْتِقَامَ مِنَ النَّاسِ).

١٤٩٠ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»، متفق عليه.

(١) سبل السلام (٤/ ٢٠٠).

(٢) الزواجر (١/ ١١٨).



١٤٩١ - وعنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي. قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»، فَرَدَّدَ مَرَارًا. فَقَالَ: «لَا تَغْضَبْ». أخرجه البخاري.

١٤٩٢ - وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ، كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَهُ»، أخرجه الطبراني في الأوسط. [ضعفه العقيلي في الضعفاء (٤/٢)]. وله شاهد من حديث ابن عمر عند ابن أبي الدنيا. [وإسناده ضعيف أيضًا].

التوضيح:

- قوله: «ليس الشديد»: أي: شديد القوة.
- قوله: «بالصَّرعَة»: أي: كثير الصرع لغيره.
- قوله: «إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»: المراد بالشديد هنا هو شدة القوة المعنوية، وهو مجاهدة النفس وإمساكها عن الشر ومنازعتها للجوارح بالانتقام ممن أغضبها.

الدلالات الفقهية:

- ١ - ينقسم الغضب إلى قسمين: غضب مذموم، وغضب ممدوح. أما الغضب المذموم: فهو الذي تُهي عنه في الأحاديث؛ لأنه يخرج العقل والدين من سياستها، فلا يبقى للإنسان مع ذلك نظرًا، ولا فكرًا، ولا اختيار. وأما الغضب المحمود: فهو ما يكون لله تعالى عندما تنتهك حرمانه، والغضب على أعدائه.
- ٢ - الحديث فيه دلالة على أنه يجب على من أغضبه امرؤ وأرادت النفس المبادرة إلى الانتقام ممن أغضبه أن يجاهد نفسه ويمنعها عما طلبت.

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - قال ابن بطال في حديث أبي هريرة الأول عن الغضب: (أراد النبي ﷺ: أن الذي يقوى على ملك نفسه عند الغضب، ويردها عنه هو القوى الشديد، وله النهاية في الشدة؛ لغلته هو المردى الذي زينه له الشيطان المغوي، فدلَّ هذا أن مجاهدة النفس أشد من مجاهدة العدو؛ لأن النبي ﷺ جعل للذي يملك نفسه عند الغضب من القوة والشدة ما ليس للذي يغلب الناس ويصرعهم)^(١).

(١) فتح الباري (٩/٢٦٩).

٢ - الحديث يدل على أن القوة الحقيقية ليست هي قوة العضلات، والقوة البدنية، وإنما القوة الحقيقية هي القوة المعنوية؛ فليس الشديد القوي هو الذي يصرع دائماً غيره من الأشداء. وإنما الشديد هو الذي جاهد نفسه، وقهرها حينما يشتد به الغضب؛ فيملك زمامها، فلا يقدم على فعل محرّم من اعتداء، ويمسك لسانه، فلا يتفوه بكلام محرم من شتم، أو لعن، أو قذف، أو غير ذلك (١).

٣ - معنى قوله: «لا تغضب»: أي: اجتنب أسباب الغضب، ولا تتعرّض لما يجلبه، قال ابن التين: (جمع النبي ﷺ في قوله: «لا تغضب» بين خيري الدنيا والآخرة؛ لأن الغضب يؤول إلى التقاطع ومنع الرفق، وربما آل إلى أن يؤذي المغضوب عليه، فينتقص ذلك من الدين) (٢).

٤ - وفي حديث أنس بيان فضل من كفّ غضبه، وأنه بمجرد هذا الفعل اليسير يكفّ الله تعالى عنه عذابه، والمراد بكف الغضب: أن يمنع نفسه عند هيجان الغضب عن أذى معصوم (٣).

● من أمراض القلوب: (النفاق):

● قال الله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٧].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِعَايَةِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥].

وقال الله تعالى في وصف الجنة وأهلها: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا﴾ [النبا: ٣٥].

١٤٩٣ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اتُّمِّنَ حَانَ»، متفق عليه. ولهما من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ».

(١) توضيح الأحكام (٧/ ٣٩٤).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٥٢٠).

(٣) فيض القدير (٦/ ٢٨١).



الدلالات الفقهية:

١ - قال ابن رجب: (الذي فسّره به أهل العلم المعتبرون: أن النفاق في الشرع ينقسم إلى قسمين: أحدهما: النفاق الأكبر، وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ ونزل القرآن بدم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار. والثاني: النفاق الأصغر، وهو نفاق العمل: وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحته، ويبطن ما يخالف ذلك)^(١).

٢ - قوله: «إذا خاصم فجر»: يعني بالفجور: أن يخرج عن الحق عمداً حتى يصير الحق باطلاً والباطل حقاً، وهذا مما يدعو إليه الكذب، فإذا كان الرجل ذا قدرة عند الخصومة - سواء كانت خصومته في الدين أو في الدنيا - على أن ينتصر للباطل، ويخيل للسامع أنه حق، ويوهن الحق، ويخرجه في صورة الباطل؛ كان ذلك من أقبح المحرمات، وأخبث خصال النفاق، وفي سنن أبي داود عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «من خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع»^(٢) (٣).

٣ - وفي الحديث دليل على أن الإنسان قد يجتمع فيه خصال إيمان وخصال نفاق؛ لقوله: «كان فيه خصلة من النفاق» هذا مذهب أهل السنة والجماعة: أن الإنسان يكون فيه خصلة نفاق وخصلة فسوق، وخصلة عدالة، وخصلة عداوة، وخصلة ولاية، يعني أن الإنسان ليس بالضرورة أن يكون كافرًا خالصًا، أو مؤمنًا خالصًا، بل قد يكون فيه خصال من الكفر، وهو مؤمن، وخصال من الإيمان^(٤).

(١) جامع العلوم والحكم (١/٤٢٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٥٩٧)، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦١٩٦).

(٣) جامع العلوم والحكم (ص ٤٣٢).

(٤) شرح رياض الصالحين (٤/٥٠).



الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

١ - إن النفاق الأصغر كله يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية كما قاله الحسن، والنفاق الأصغر وسيلة إلى النفاق الأكبر، كما أن المعاصي بريد الكفر، وكما يُخشى على من أصر على المعصية أن يُسلب الإيمان عند الموت، كذلك يُخشى على من أصر على خصال النفاق أن يُسلب الإيمان فيصير منافقًا خالصًا. وسئل الإمام أحمد: ما تقول فيمن لا يخاف على نفسه النفاق؟ قال: ومن يأمن على نفسه النفاق^(١).

٢ - وجه الاقتصار على هذه العلامات الثلاثة: أنها منبهة على ما عداها؛ إذ أصل الديانة منحصر في ثلاث: القول، والفعل، والنية. فنبه على فساد القول بالكذب، وعلى فساد الفعل بالحيانة، وعلى فساد النية بالخلف^(٢).

٣- من أعظم خصال النفاق العملي: أن يعمل الإنسان عملاً يظهر أنه يقصد به الخير، وإنما عمله ليتوصل به إلى غرض له سيء؛ فيتوصل بهذه الخديعة إلى غرضه، ويفرح بمكره وخداعه، وحمد الناس له على ما أظهره، وتوصل به إلى غرضه السيء الذي أبطنه^(٣).

الظلم:

قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(١) وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ^(٢) إِمَّا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلُمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(٣) وَلَمَنْ صَبَرَ وَعَفَا إِنَّ ذَلِكَ لِمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ^(٤) وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَدِيِّ مِّنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ^(٥) [الشورى: ٤٠-٤٤].

جعل الله جزاء السيئة مثلها؛ فالظلم ظلمات يوم القيامة، وقد حرم الله الظلم وتوعد بعقاب أهله.

(١) جامع العلوم والحكم (١/٤٢٩-٤٣٢).

(٢) فتح الباري (١/٩٠).

(٣) توضيح الأحكام (٧/٤٠٩).



- ١٤٩٤- عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، متفق عليه.
- ١٤٩٥- وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»، أخرجه مسلم.
- ١٤٩٦- وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرُوي عَنْ رَبِّهِ قَالَ: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا»، أخرجه مسلم.

التوضيح:

- الظلم: مجاوزة الحد، ووضع الشيء في غير موضعه.
- الشح: في التفرقة بينه وبين البخل أقوال، فقيل: الشح أشد من البخل، وأبلغ في المنع منه. وقيل: الشح الحرص على ما ليس عنده، والبخل بما عنده. وقيل غير ذلك.

الددلالات الفقهية:

- ١- في الأحاديث دليل على تحريم الظلم، وهو يشمل جميع أنواعه، سواء كان في نفس أو مال أو عرض، وسواء وقع في حق مؤمن أو كافر.
- ٢- وقد حذر الله عباده من الظلم والتظالم، فقال في الحديث القدسي: «يا عبادي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً؛ فلا تظالموا» رواه مسلم. فلا يجوز لأحد كائناً من كان أن يظلم عباد الله، ويؤذيهم ويضارهم، ويتجنى عليهم، ويعتدي على مصالحهم، ويتهك محارمهم. كما لا يجوز له أن يمنعهم حقوقهم، ويبخسهم أشياءهم، ويقصر فيما يجب عليه تجاههم، فإن الخلق خلق الله، وأحبههم إليه أنفعهم لهم، وخير الناس أقومهم بمصالح الناس. وقد أوجب الله على المؤمنين أن يكونوا إخوة متحايين، متراحمين متكاتفين، متواصلين متعاطفين، بل قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» متفق عليه (١).
- ٣- وحديث جابر فيه دلالة على قبح الشح وتحريمه، ويكون المحرم منه ما أدى إلى منع واجب شرعي أو عرفي، وما زاد على ذلك فهو معدود من السخاء، وهو صفة كمال ممدوح ما لم يفيض إلى إسراف.

(١) حقيقة الظلم (ص ١٦).



١ - قال ابن القيم - رحمه الله -: (والظلم عند الله عز وجل يوم القيامة له دواوين ثلاثة: ديوان لا يغفر الله منه شيئاً، وهو الشرك به؛ فإن الله لا يغفر أن يُشرك به. وديوان لا يترك الله تعالى منه شيئاً، وهو ظلم العباد بعضهم بعضاً، فإن الله تعالى يستوفيه كله. وديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل، فإن هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محواً، فإنه يُمحى بالتوبة والاستغفار، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، ونحو ذلك. بخلاف ديوان الشرك؛ فإنه لا يُمحى إلا بالتوحيد. وديوان المظالم لا يُمحى إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها)^(١).

٢ - وقوله ﷺ في الشح: «فإنه أهلك من كان قبلكم»: يحتل أنه يريد الهلاك الدنيوي المفسر بما بعده في تمام الحديث، وهو قوله: «حملهم على أن يسفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»، وهذا هلاك دنيوي، والحامل لهم هو شحهم وحرصهم على حفظ المال، وجمعه وازدياده وصيانته عن ذهابه في النفقات، فضموا إليه مال الغير صيانة له، ولا يدرك مال الغير إلا بالحرب والغصيبة المفضية إلى القتل، واستحلال المحارم. ويحتمل أن يراد به الهلاك الأخروي، فإنه يتفرع عما اقترفوه من ارتكاب هذه المظالم، والظاهر حمله على الأمرين^(٢).

• من آفات اللسان: (السب واللعن):

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَابِرُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَبِّ يَبْسُ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَدُبَّ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

وقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٣].

(١) الوابل الصيب (ص ٢٣).

(٢) سبل السلام (٤/ ١٨٤).

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

١٤٩٧- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»، متفق عليه.

١٤٩٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْمُسْتَبَانِ مَا قَالَا، فَعَلَى الْبَادِي، مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ»، أخرجه مسلم.

١٤٩٩- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يُغْضِ الْفَاحِشَ الْبَدِيءَ»، أخرجه الترمذي وصححه.

١٥٠٠- وعن ابن مسعود رضي الله عنه رفعه: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَدِيءِ»، أخرجه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم، ورجح الدراقطني وفقه.

١٥٠١- وعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لعن المؤمن كقتله»، متفق عليه.

١٥٠٢- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضُوا إِلَى مَا قَدَّمُوا»، أخرجه البخاري.

١٥٠٣- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُفَعَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، أخرجه مسلم.

التوضيح:

- السب: الشتم والتكلم في عرض الإنسان بما يعيبه.
- والفسق في اللغة: الخروج، والمراد به في الشرع: الخروج عن الطاعة.
- المستبان: الرجلان يسب كل منهما الآخر.
- ما قالوا: أي: إثم ما قالاه من السب والشتم.
- فعلى البادئ منها: لأنه السبب لتلك المخاصمة.
- ما لم يعتد المظلوم: أي: يتعدى الحد في السب، فلا يكون الإثم حينئذ على البادئ فقط بل عليها.
- الفاحش: الذي يرسل لسانه بما لا ينبغي، وذو الفحش هو: قبيح الأقوال والأفعال.



- البذيء: الذي يجري لسانه بالسفه ونحوه من لغو الكلام.
- لعن المؤمن كقتله: أي: أنها سواء في أصل التحريم، وإن كان القتل أغلظ^(١)، وقيل: لعن المؤمن كقتله لأن القاتل يقطع عن منافع الدنيا، وهذا يقطع عن نعيم الآخرة ورحمة الله تعالى^(٢).

الدلالات الفقهية:

- ١ - حديث ابن مسعود الأول دليل على أن سب المسلم بغير حق حرام، وهذا بإجماع الأمة، وفاعله فاسق كما أخبر به النبي ﷺ، وأما قتاله بغير حق؛ فلا يكفر به عند أهل الحق كقرا يخرج به من الملة إلا إذا استحلها؛ كما قدمناه في مواضع كثيرة.
- ٢ - فاذا تقرر ما سبق: فقد قيل في تأويل الحديث أقوال، أحدها: أنه في المستحل، والثاني: أن المراد كفر الإحسان والنعمة وأخوة الإسلام، لا كفر الجحود. والثالث: أنه يؤول إلى الكفر بشؤمه. والرابع: أنه كفعل الكفار، والله أعلم^(٣).
- ٣ - المراد هنا تحريم سباب المسلم المستور الذي ظاهره العدالة والاستقامة، وأما الذي خلع جلباب الحياء، وجاهر بالمعاصي، فهذا لا غيبة له، ولا لسبابه حرمة؛ فقد قال النبي ﷺ: «كل أمي معافي إلا المجاهرين» متفق عليه، وهم الذين جاهروا بمعاصيهم، فهتكوا ما ستر الله عليهم^(٤).
- ٤ - في حديث أبي هريرة أن المتشاكين اللذين يسب كل منهما الآخر؛ يكون إثمهما على الذي ابتدأ بالشتم؛ ما لم يتعدَّ المظلوم الحد؛ بأن سبه أكثر وأفحش منه.
- ٥ - قال النووي: (وفيه جواز الانتصار، ولا خلاف فيه، وتظاهر عليه الكتاب والسنة، ومع ذلك؛ فالصبر والعفو أفضل، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْوِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]، وقال ﷺ: «وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً» رواه مسلم^(٥).
- ٦ - وفي حديثي أبي الدرداء وابن مسعود بيان تحريم الفحش، والفاحش هو: فاعل الفحش أو قائله؛ فهو يشمل الشتم القبيح الذي يقبح ذكره، وأما البذيء، فهو الذي لا حياء له، ذو الفحش في القول.

(١) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢/١٢٥).

(٢) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١٤٨-١٤٩).

(٣) شرح النووي على مسلم (٢/٥٤).

(٤) ينظر: توضيح الأحكام (٧/٤١٣).

(٥) شرح مسلم (٨/٣٩٨).



- ٧ - وفي حديث ابن مسعود، وحديث أبي الدرداء الثاني تحريم اللعن، وسيأتي.
- ٨ - وأما قوله ﷺ: «لا يكونون شفعاء»، فمعناه: لا يشفعون يوم القيامة حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار.
- ٩ - وقوله: «ولا شهداء» فيه ثلاثة أقوال: أصحابها وأشهرها: لا يكونون شهداء يوم القيامة على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم الرسالات. والثاني: لا يكونون شهداء في الدنيا، أي: لا تقبل شهادتهم لفسقهم. والثالث: لا يرزقون الشهادة؛ وهي القتل في سبيل الله.
- ١٠ - الظاهر أن نفي قبول شهادة كثيري اللعن عامة في الحياة الدنيا وفي الآخرة؛ ففي الدنيا: هم ساقطو العدالة، فلا يصلحون شهودًا في الخصومات لإثبات الحقوق، ولا في الآخرة أيضًا حيننا تشهد الأمم أن رسلهم بلغوا الرسالة، وأدوا الأمانة، فهؤلاء اللعانون ليسوا من هؤلاء الشرفاء، الذين قاموا بأداء الشهادة، والتركية لأنبيائهم (١).
- ١١ - وجاء في حديث ثابت بن الضحاك أيضًا تحريم لعن المسلم، وبيان أن لعن الإنسان كقتله في المشاركة في الإثم، وإن لم يستويا في قدره.

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - السباب ليس من خلق ذوي الهيئات والمرآت، وإنما هو خلق السفهاء، ومن ليس لهم حياء يردهم عن هجر الكلام، وفاحشه، والبذاءة؛ لذا فإنه يجمل بالمسلم أن يتعد عن هذه الأخلاق، وأن ينأى عمن ليس عنده خلق حسن؛ فليتأدب معه بأداب القرآن من الإعراض عن الجاهلين، والصفح الجميل، والصبر، والعفو، والمغفرة؛ لينال درجة المتخلقين بالقرآن، والله الموفق (٢).
- ٢ - اللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله، ومن صفات المؤمن ألا يكون لعانًا، ولا طعانًا، ولا فاحشًا، ولا بذئيًا، إنما ذلك من سمات وأخلاق الفساق ناقصي الإيمان - كما سبق - قال النووي: (اعلم أن لعن المسلم المصون حرام بإجماع المسلمين، ويجوز لعن أصحاب

(١) توضح الأحكام (٧/٤٦٩).

(٢) توضيح الأحكام (٧/٤٤٤).



الأوصاف المذمومة، كقولك: لعن الله الظالمين، لعن الله الكافرين، لعن الله اليهود والنصارى، لعن الله الفاسقين، لعن الله المصوِّرين، ونحو ذلك^(١).

٣ - وفي حديث عائشة نهى النبي ﷺ عن سب الأموات، وبين ﷺ أنهم قد وصلوا إلى ما قدموا لأنفسهم، ومذهب أهل السنة والجماعة في أموات المسلمين: أننا نرجو للمحسن أن يوفيه الله أجره، ويرحمه، ولا يعذبه، ونخاف على المسيء أن يؤخذ بذنوبه وإساءته، ولا نشهد لأحد بجنة ولا نار، إلا لمن شهد له النبي ﷺ^(٢).

طريقة الاستدلال:

١ - ليس المراد بالكفر في حديث ابن مسعود الكفر المخرج من الملة؛ وذلك لأنه كما قال ابن حزم: (برهان هذا هو ما ذكرنا قبل من نص القرآن في أن القاتل عمداً والمقاتل: مؤمنان، وكلامه ﷺ لا يتعارض ولا يختلف)^(٣).

٢ - وصف قتال المسلم بأنه كفر يدل على أن هذا الفعل كبيرة من كبائر الذنوب.

٣ - ذكر البذيء بعد الفاحش: إما أن يخص الفاحش بالفعل؛ لئلا يلزم التكرار، أو يحمل الفحش على العموم في القول والفعل، والثاني يكون تخصيصاً بعد تعميم، بزيادة الاهتمام به بالفحش بالقول؛ لكثرة الاعتداء به.

٤ - قوله ﷺ: «لعن المؤمن كقتله»: قال ابن دقيق العيد: (فيه سؤال وهو أن يقال: إما أن يكون كقتله في أحكام الدنيا أو في أحكام الآخرة؟ لا يمكن أن يكون المراد أحكام الدنيا؛ لأن قتله يوجب القصاص ولعنه لا يوجب ذلك، وأما أحكام الآخرة: فإما أن يراد بها التساوي في الإثم أو العقاب؟ وكلاهما مشكل؛ لأن الإثم يتفاوت بتفاوت مفسدة الفعل وليس إذهب الروح في المفسدة كمفسدة الأذى باللعنة، وكذلك العقاب يتفاوت بحسب تفاوت الجرائم. والذي يمكن أن يقرر به ظاهر الحديث في استوائهما في الإثم، وفيها -مع ذلك- تعريضه لإجابة الدعاء فيه بموافقة ساعة لا يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه، فإذا وقعت الإجابة وإبعاده

(١) الأذكار للنووي (ص ٣٠٣).

(٢) توضيح الأحكام (٧/٤٥١).

(٣) الفصل لابن حزم (٣/٢٣٧).

من رحمة الله تعالى؛ كان ذلك أعظم من قتله؛ لأن القتل تفويت الحياة الفانية قطعاً، والإبعاد من رحمة الله تعالى أعظم ضرراً بما لا يحصى^(١).

٥ - إنما قال ﷺ: «لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً»، و«لا يكون اللعانون شفعاء» بصيغة التكثير ولم يقل: لاعناً، ولا عنون؛ لأن هذا الذم في الحديث إنما هو لمن كثر منه اللعن، لا لمرة ونحوها، ولأنه يخرج منه أيضاً اللعن المباح، وهو الذي ورد الشرع به؛ مثل لعنة الله على الظالمين، لعن الله اليهود والنصارى، لعن الله الواصلة، والواشمة، وشارب الخمر، وآكل الربا وموكله وكتابه وشاهديه، والمصورين، ومن انتمى إلى غير أبيه وتولى غير مواليه، وغير منار الأرض، وغيرهم مما هو مشهور في الأحاديث الصحيحة.

● من آفات اللسان: (الغيبة):

● قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

١٥٠٤ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ»، أخرجه مسلم.

١٥٠٥ - وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كَفَّارَةٌ مَنْ اغْتَبْتَهُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُ»، رواه الحارث ابن أبي أسامة بإسناد ضعيف. [أورده ابن الجوزي في الموضوعات (١٥٨٣)، وضعفه العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٨٢٥)].

التوضيح:

- **بَهْتَهُ**: أي قلت عليه ما ليس فيه، وما لم يفعله؛ من البهتان الذي هو الكذب^(٢).

الدلالات الفقهية:

١ - دلت الأحاديث على تحريم الغيبة، وأنها من الكبائر، يقول ابن حجر الهيتمي: (أثمة كبيرة، لكنها تختلف عظمًا وضده؛ بحسب اختلاف مفسدتها)^(٣).

(١) إحكام الأحكام (ص ٤٦٠).

(٢) ينظر: مادة: (بهت): القاموس المحيط (ص ١٧٤)، ومعجم مقاييس اللغة (١/ ٣٠٧).

(٣) الزواجر (٢/ ٥٥٥).



٢ - دَلَّ حديث أبي هريرة على حقيقة الغيبة، وهي ذكر المرء بما يكره سواء كان في بدن الشخص أو دينه أو دنياه أو نفسه أو خلقه أو ماله أو والده أو ولده أو زوجه أو خادمه أو حركته أو طلاقته أو عبوسته أو غير ذلك مما يتعلق به ذكر سوء، سواء ذكر باللفظ أو بالرمز أو بالإشارة (١).

٣ - ودَلَّ حديث أنس على أن كفارة الغيبة أن يستغفر لمن اغتابه، والحديث ضعيف، ولهذا فلا بد من التوبة الصادقة التي يصحبها الإقلاع، والندم، وعدم العود، واشترط بعض العلماء أن يطلب من الشخص الذي اغتابه أن يخلله ويعفو عنه، لكن لو خشي أنه إن أخبره أن تحدث بينهم وحشة أو تنقح بينهم شرارة العداوة فليدْعُ له بظهر الغيب، وليذكر محاسنه عند من اغتابه عندهم من قبل، حتى يرى أن ذمته قد برئت.

٤ - قال النووي: اعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو ستة أبواب:

الأول: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما مما له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني فلان كذا.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا، فازجره عنه.

الثالث: الاستفتاء، فيقول: للمفتي: ظلمني أبي، أو أخي، أو زوجي، أو فلان بكذا.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم.

الخامس: أن يكون مجاهرًا بفسقه أو بدعته، كالمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وأخذ المكس وغيرها.

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفًا بلقب كالأعمش، والأعرج، والأصم، والأعمى، والأحول، وغيرهم جاز تعريفهم بذلك (٢). وجمعها ابن أبي شريف في قوله:

الذم ليس بغيبة في ستية*** متظلم ومعرّف ومخذر
ولمظهر فسقًا ومستفتٍ ومن*** طلب الإعانة في إزالة منكر (٣)

(١) سبل السلام (٤/١٩٢-١٩٣).

(٢) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٠/٤٦٩).

(٣) سبل السلام (٤/١٩٤).



هل يجب الاستحلال من الذي اغتیب أو لا يجب؟
قال الغزالي: (اعلم أن الواجب على المعتاب أن يندم ويتوب، ويتأسف على ما فعله؛ ليخرج به من حق الله سبحانه، ثم يستحل المعتاب؛ ليحله؛ فيخرج من مظلمته)^(١).
ولكن قال ابن القيم: (والصحيح أنه لا يحتاج إلى إعلامه، بل يكفي الاستغفار، وذكره بمحاسن ما فيه في المواطن التي اغتابه فيها، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره. والذين قالوا: لا بد من إعلامه، جعلوا الغيبة كالحقوق المالية، والفرق بينهما ظاهر؛ فإن الحقوق المالية ينتفع المظلوم بعود نظير مظلمته إليه، فإن شاء أخذها، وإن شاء تصدق بها، وأما في الغيبة، فلا يمكن ذلك ولا يحصل له بإعلامه إلا عكس مقصود الشارع، فإنه يوغر صدره، ويؤذيه إذا سمع ما رمي به، ولعله يهيج عداوته ولا يصفو له أبداً، وما كان هذا سبيله، فإن الشارع الحكيم لا يبيحه، ولا يجوز؛ فضلاً عن أن يوجهه، ويأمر به، ومدار الشريعة على تعطيل المفسد وتقليلها، لا على تحصيلها وتكميلها)^(٢).

• من آفات اللسان: (النميمة):

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَاْفٍ مَّهِينٍ ﴿١١﴾ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ [القلم: ١٠، ١١].
وقال الله تعالى في صفة المنافقين: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَوْا إِلَّا ذَلَلًا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا إِلَّا لَعْنَةً وَأَنْجَارًا﴾ [النميمة: ٤٧].
قال ابن كثير: ﴿وَلَا أُضْعَوْا إِلَّا ذَلَلًا وَمَا كَانُوا إِلَّا لَعْنَةً وَأَنْجَارًا﴾ أي: وَلَا أَسْرَعُوا السَّيْرَ وَالْمَشْيَ بَيْنَكُمْ بِالنَّمِيمَةِ وَالْبَغْضَاءِ وَالْفِتْنَةِ، ﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ﴾ أي: مُطِيعُونَ لَهُمْ وَمُسْتَحْسِنُونَ لِحَدِيثِهِمْ وَكَلَامِهِمْ، يَسْتَنْصِحُونَهُمْ وَإِنْ كَانُوا لَا يَعْلَمُونَ حَاهُمْ، فَيُؤَدِّي هَذَا إِلَى وُقُوعِ شَرِّ بَيْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَفَسَادِ كَبِيرٍ).

١٥٠٦ - عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ»، متفق عليه.

(١) الإحياء (٣/ ١٥٤).

(٢) الوابل الصيب (ص ٢١٩).



التوضيح:

- القَتَات: هو النَّمَام، وقيل: الفرق بين القَتَات والنَّمَام: أن النَّمَام الذي يحضر القصة فينقلها، والقَتَات الذي يستمع من حيث لا يُعلم به ثم ينقل ما سمعه.
- لا يدخل الجنة: أي ابتداء من أول الأمر.

الدلالات الفقهية:

دَلَّ حديث حذيفة على أن النميمة محرمة، وقد تظاهر على تحريمها الدلائل الصريحة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة^(١).

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - قال يحيى بن أبي كثير: (يفسد النمام والكذاب في ساعةٍ ما لا يفسد الساحر في سنة)، والنميمة من أنواع السحر؛ لأنها تشارك السحر في التفريق بين الناس، وتغيير قلوب المتحابين وتلقيح الشرور^(٢).
- ٢ - قال الإمام النووي: (وَكُلُّ من حُمِلَتْ إليه نميمة، وقيل له: فلان يقول فيك، أو يفعل فيك كذا فعليه ستة أمور:
الأول: أن لا يصدِّقه، لأن النمام فاسق.
الثاني: أن ينهأه عن ذلك، وينصحه، ويقبِّح له فعله.
الثالث: أن يبغضه في الله تعالى؛ فإنه يبغض عند الله تعالى ويجب بغض من أبغضه الله تعالى.
الرابع: ألا يظن بأخيه الغائب السوء.
الخامس: ألا يحمل ما حُكِيَ له على التجسس والبحث عن ذلك.
السادس: أن لا يرضى لنفسه ما نهى النَّمَام عنه، فلا يحكي نميته عنه فيقول: فلان حكى كذا، فيصير به تمامًا، ويكون آتياً ما نهى عنه...)^(٣).

(١) الأذكار (ص ٢٨٩).

(٢) انظر: فتح المجيد (ص ٣٢٥).

(٣) شرح النووي على مسلم (٢/١١٣).



طريقة الاستدلال:

قوله: «لا يدخل الجنة قتات»: قال الحافظ ابن حجر: (قوله: «لا يدخل الجنة» أي في أول وهلة، وابتداء، كما في نظائره الكثيرة في السنة)^(١). وهذا مذهب أهل السنة والجماعة؛ فإنهم لا يُكفرون أحداً من أهل القبلة بشيء من المعاصي ما لم يستحلّه، إلا ما خصّه الدليل.

• إثم التجسس:

• قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢].

١٥٠٧- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَسَمَعَ حَدِيثَ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، صُبَّ فِي أُذُنِهِ الْأَنْكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، يعني الرصاص. أخرجه البخاري.

التوضيح:

- الأنك: الرصاص الخالص^(٢).

الدلالات الفقهية:

- ١- في حديث ابن عباس دليل على تحريم استماع حديث من يكره سماع حديثه، ويعرف ذلك بالقرائن وبالتصريح، قال ابن عبد البر: (لا يجوز لأحد أن يدخل على المتناجين في حال تناجيهما)^(٣).
- ٢- قال ابن حجر: (ولا ينبغي للدخول القعود عندهما ولو تباعد عنهما إلا بإذنها، لأنها لما افتتحتا حديثهما سرّاً وليس عندهما أحد دلّ على أن مرادهما ألا يطّلع أحد على كلامهما).
- ٢- وفيه تحريم التجسس، وهو البحث عن العورات والمعائب، وكشف ما ستره الناس.

• التحذير من الغدر والخداع:

• قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا خَوَافٍ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَالْبَيْدُ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨] وقال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقال الله تعالى في وصف المنافقين: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩].

(١) فتح الباري (١٠/٤٧٣).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة مادة (انك): (١/١٤٩)، تفسير غريب ما في الصحيحين لمحمد بن فتوح (ص ٣٥٤).

(٣) فتح الباري (١١/٨٤).



١٥٠٨ - عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إذا جمع الله عز وجل الأولين والآخرين يرفع لكل غادر لواء، فيقال: هذه غدرة فلان بن فلان»، متفق عليه.
١٥٠٩ - وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ خَبٌّ، وَلَا بَخِيلٌ، وَلَا سِيءُ الْمَلَكَةِ»، أخرجه الترمذي، وفرّقه حديثين، وفي إسناده ضعف. [ضعفه أحمد فيها نقله الدارقطني في تعليقاته على المجروحين (١/٢١٧)، وابن عدي في الكامل (٦/٢٥٤)].

التوضيح:

- الغدر: ترك الوفاء ونقض العهد مطلقاً في لحظة لم تكن متوقعة ولا منتظرة.
- خب: هو الخداع، أو اللئيم الذي يسعى بين الناس بالفساد.
- ولا سيء الملكة: هو من يترك ما يجب عليه من حق المالك، أو يتجاوز الحد في عقوبتهم.

الدلالات الفقهية:

- ١ - في هذا الحديث ونحوه من الأحاديث بيان غلظ تحريم الغدر، لا سيما من صاحب الولاية العامة؛ لأن غدرة يتعدى ضرره إلى خلق كثيرين (١).
- ٢ - يشمل الغدر المتوعد عليه، كل من ائتمن على دم، أو عرض، أو سر، أو مال فخانه، وأخلف ظن من ائتمنه.
- ٣ - قوله: «لا يدخل الجنة خبٌ ولا بخيل» أي دخولاً أولياً، والخبُّ هو اللئيم الخداع الساعي بين الناس بالشر والفساد، والبخيل: هو من يمنع الواجب من المال، فهو لاء لا يدخلون الجنة إلا بالتوبة عنها في الدنيا، أو بالعقوبة بقدرها تمحيصاً في العقبى (٢).
- ٤ - قوله: «ولا سيء الملكة»: هو من يترك ما يجب عليه من حق المالك، أو يتجاوز الحد في عقوبتهم، ومثله تركه لتأديبهم بالآداب الشرعية من تعليم فرائض الله وغيرها، وكذلك سوء الملكة في البهائم يكون بإهمالها عن الطعام، وتحميلها ما لا تطيقه من الأحمال والمشقة عليها بالسير والضرب العنيف وغير ذلك (٣).

(١) شرح صحيح مسلم (١٢/٤٤).

(٢) مرقاة المفاتيح (٦/٢٩٧).

(٣) سبل السلام (٤/١٩٩).



الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

قال النووي: «لكل غادر لواء» أي: علامة يشتهر بها في الناس؛ لأن موضوع اللواء والمراد به شهرة مكان الرئيس وعلامة موضعه، وكانت العرب تنصب الألوية في الأسواق الحفلة لغدر الغادر؛ لتشهيره بذلك^(١).

● غش الرعية والمشقة عليهم:

● قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا أُمَّتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٢، ٧٣].

١٥١٠ - عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رِعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرِعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»، متفق عليه.

١٥١١ - وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ؛ فَاشْتَقُّ عَلَيْهِ»، أخرجه مسلم.

التوضيح:

- يستره الله رعية: أي يفوض إليه رعاية رعية.
- وهو غاش: أي خائن.
- فَشَقَّ عَلَيْهِمْ: أي أدخل عليهم المشقة، أي: المضرة.

الدلالات الفقهية:

١ - الحديث دليل على أنه يجب على الوالي تيسير الأمور على من وليهم، والرفق بهم، ومعاملتهم بالعمو والصفح، وإيثار الرخصة على العزيمة في حقهم؛ لئلا يدخل عليهم المشقة، ويفعل بهم ما يجب أن يفعل به الله.

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٤٣/١٢).



- ٢ - ومن المشقة على الخلق تولية من ليس فيه كفاءة على العمل، ولا قدرة له عليه، ولا معرفة له به، وعليه فيجب على كل من ولي شيئاً من أمر المسلمين أن يستعمل فيما تحت يده في كل موضع أصلح من يقدر عليه وأمثلهم وأفضلهم، أداء للأمانة وبعداً عن الخيانة (١).
- ٣ - يدخل في الولاية رب الأسرة، قال ابن القيم - رحمه الله -: (فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى: فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنهما جاء فسادهم من قبل الآباء، وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه؛ فأضاعوهم صغاراً، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً) (٢).

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - قال ابن بطال: (هذا وعيد شديد على أئمة الجور، فمن ضيع من استرعاه الله عليهم أو خانهم أو ظلمهم، فقد توجه إليه الطلب بمظالم العباد يوم القيامة، فكيف يقدر على التحلل من ظلم أمة عظيمة؟! (٣).
- ٢ - جاء الدعاء من النبي ﷺ في حديث عائشة بالمشقة على من شق على رعيته؛ جزاءً من جنس الفعل، وهو عام لمشقة الدنيا والآخرة، وتام الحديث: «ومن ولي من أمر أمتي شيئاً، فرقق بهم فارقق به».

طريقة الاستدلال:

- ١ - في الأحاديث دليل على تحريم غش الرعية، وأنه من الكبائر لورود الوعيد عليه بعينه؛ فإن تحريم الجنة وعيد الكافرين في القرآن كما قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ حَرَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢].
- ٢ - قوله: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً»: كلمة (شيئاً): نكرة جاءت في سياق الشرط، فتعم كل شيء، فيدخل في ذلك الموظف، ورب الأسرة، وكل مسؤول على قوم كثروا أو قلوا.

(١) السياسة الشرعية (ص ١٧-٢٧)، الموسوعة الفقهية (٤٥/١٤٦).

(٢) تحفة المودود (ص ٢٢٩).

(٣) سبل السلام (٤/١٩٠).



• التعدي على الناس أو أموالهم أو أعراضهم:

• قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَسَبُوا فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَانَنَا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وقال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: ٢٩].

١٥١٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ»، متفق عليه.
١٥١٣- وعن خولة الأنصارية رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، أخرجه البخاري.

١٥١٤- وعن أبي صرمة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ضَارَّ مُسْلِمًا ضَارَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ شَاقَّ مُسْلِمًا شَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ»، أخرجه أبو داود، والترمذي وحسنه. [ضعفه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٥/٧٨٦)].

١٥١٥- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ، لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ»، أخرجه الترمذي، وحسنه، وسنده منقطع. [قال أبو زرعة الرازي في سؤالات البرذعي (٥٠٨): منكر].

١٥١٦- وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنِ عُيُوبِ النَّاسِ»، أخرجه البزار بإسناد حسن. [ذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة (١٢٢)]، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم: (٣٦٤٤).

ترجمة الرواة:

١ - خولة الأنصارية: هي خولة بنت قيس الأنصارية النجارية، لها صحبة، كانت تحت حمزة ابن عبد المطلب رضي الله عنه فقتل عنها، وخلف عليها النعمان بن عجلان الأنصاري، روى لها البخاري حديثاً، والترمذي آخر.

٢ - أبو صرمة مالك بن قيس، الأنصاري المازني مشهور بكنيته، مختلف في اسمه، شهد مع النبي ﷺ المشاهد؛ بدرًا وما بعدها، وكان شاعرًا محسنًا رضي الله عنه.



التوضيح:

- يتخَوَّضُونَ: أي يتصرفون فيه ويتقحمون في استحلاله.
- من ضارَّ مسلماً: أي: أدخل على مسلم مضرة في ماله أو نفسه أو عرضه بغير حق.
- ضارَّه الله: أي: جازاه من جنس فعله، وأدخل عليه المضرة.
- ومن شاقَّ مسلماً: أي نازع مسلماً ظلماً وتعدياً.
- شقَّ الله عليه: أي: أنزل الله عليه المشقة جزاءً وفاقاً.
- عَيَّرَ أَحَاهُ: من التعيير، أي عابه.
- طوبى: مصدر من الطيب، أو اسم شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها.

الدلالات الفقهية:

- ١ - في حديث أبي هريرة دليل على أنه لا يجوز ضرب المسلم على وجهه بأي نوع من أنواع الضرب، قال الحافظ ابن حجر: (ويدخل في النهي كل من ضرب في حد أو تعزير أو تأديب) (١).
- ٢ - وفي حديث خولة دليل على أنه يحرم على من لم يستحق شيئاً من مال الله - وذلك بالأب لا يكون من المصارف التي عينها الله تعالى - أن يأخذها ويملكه، وأن ذلك من المعاصي الموجبة للنار. وفي قوله: «يتخوضون» دلالة على أنه يقبح توسعهم منه زيادة على ما يحتاجون، فإن كانوا من ولاة الأموال أبيح لهم قدر ما يحتاجونه لأنفسهم من غير زيادة (٢).
- ٣ - والحديث يشمل أموال الناس التي بأيديهم وتخصمهم، فلا يجوز لهم أن يتصرفوا فيها إلا بما يحبه الله تعالى؛ لتكون عوناً لمرضاته فيما يقيم دينه، وفيما ينفع عباده في دنياهم.

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - قال النووي: (إنما نُهي عن ضرب الوجه؛ لأنه لطيف يجمع المحاسن، وأكثر ما يقع الإدراك بأعضائه، فيخشى من ضربه أن تبطل أو تشوه كلها أو بعضها، والشين فيها فاحش لظهورها وبروزها، بل لا يسلم إذا ضرب غالباً من شين) (٣).

(١) فتح الباري (٥/٢١٦).

(٢) سبل السلام (٤/١٩٢).

(٣) بلفظه من فتح الباري (٥/٢١٦)، وينظر: شرح النووي على مسلم (١٦/١٦٥).

- ٢ - على الولاية أن يصرفوا مال الله تعالى فيما يعزز دينه، ويعلي كلمته، وعلى ما ينفع الرعية والبلاد، من المشاريع النافعة، والزراعة، والصناعة، والتعليم، والمرافق العامة التي تنفع عموم الرعية، وفيما ينفع عباده في دنياهم (١).
- ٣ - وأما حديث أبي صرمة، ففيه أن من أدخل على مسلم مضرة في ماله أو نفسه أو عرضه بغير حق؛ ضارّه الله، أي: جازاه من جنس فعله، وأدخل عليه المضرة. والمشاقة: المنازعة؛ أي: من نازع مسلماً ظلماً وتعدياً أنزل الله عليه المشقة؛ جزاءً وفاقاً، فالحديث تحذير من أذى المسلم بأي شيء، وبأي شكل (٢).
- ٤ - يقول ابن القيم -رحمه الله-: (تظاهر الشرع والقدر على أن الجزء من جنس العمل) (٣)، وهذه قاعدة عظيمة مطردة سبق الكلام عليها، وقد تواطأت النصوص في الكتاب والسنة على تأكيد ذلك، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].
- ٥ - في حديث معاذ ذم الشهامة، وأن يعير الرجل أخاه المسلم بذنب، وأن من فعل ذلك لم يمت حتى يعمل ذلك الذنب الذي عير به أخاه، وكأن من عير أخاه يُجازي بسلب التوفيق، حتى يرتكب ما عير أخاه به. قال ابن القيم: (تعيرك لأخيك بذنبه أعظم إثماً من ذنبه، وأشد من معصيته؛ لما فيه من صولة الطاعة وتزكية النفس وشكرها، والمناداة عليها بالبراءة من الذنب، وأن أحاك بآء به، ولعل كسرتة بذنبه وما أحدث له من الذلة والخضوع والإزراء على نفسه، والتخلص من مرض الدعوى والكبر والعجب، ووقوفه بين يدي الله ناكس الرأس خاشع الطرف منكسر القلب: أنفع له، وخير من صولة طاعتك، وتكثرك بها، والاعتداد بها، والمنة على الله وخلقه بها) (٤).
- ٦ - وفي حديث أنس فضل من شغله النظر في عيوبه، وطلب إزالتها، أو الستر عليها عن الاشتغال بذكر عيوب غيره، والتعرف لما يصدر منهم من العيوب؛ وذلك بأن يُقدّم النظر في عيب نفسه إذا أراد أن يعيب غيره؛ فإنه سيجد من نفسه ما يردعه عن ذكر غيره (٥).

(١) توضيح الأحكام (٧/٤٢٥).

(٢) سبل السلام (٤/١٩٨).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/٧١).

(٤) مدارج السالكين (١/١٧٧).

(٥) سبل السلام (٤/٢٠٠).



باب الترهيب من مساوئ الأخلاق

قال بعضهم: تقيدت بيت سمعته:

لنفسى أبكي لست أبكي لغيرها *** لنفسى في نفسى عن الناس شاغل
وقال آخر: لا أحسب أحدًا لا يتفرغ لعب الناس إلا عن غفلة غفلها عن نفسه، ولو
اهتم لعب نفسه ما تفرغ لعب أحد (١).

طريقة الاستدلال:

١ - ظاهر حديث أبي هريرة التحريم، ويؤيده ما رواه مسلم من حديث سويد بن مقرن
الصحابي: أن جارية له لطمها إنسان، فقال له سويد: أما علمت أن الصورة محرمة، فقال:
«لقد رأيتني وإني لسابع إخوة لي مع رسول الله ﷺ، وما لنا خادم غير واحد، فعمد أحدنا
فلطمه، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نعتقه» (٢).

٢ - عموم حديث أبي هريرة يدل على أنه لا يجوز ضرب المسلم على وجهه بأي نوع من أنواع
الضرب، سواء كان ذلك على سبيل التأديب، أو التعليم، أو الرياضة، أو الدفاع عن
النفس، أو في إقامة حد أو تعزير.

٣ - حديث معاذ موضوع، والموضوع لا يترتب عليه أي حكم، ولكن دلت الأدلة عمومًا
على تحريم الشتم، والتعير.

المراء واللد في الخصومة:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ
الَّذِي الْخِصَامُ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٥٩﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ لَهُ وَجَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمُهَادُّ ﴿٦٠﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦].
وقال الله تعالى في ذم المكذبين لرسالة النبي ﷺ: ﴿وَقَالُوا أَلَمْ نَخْتَرِ لَكُمْ رَسُولًا ذَمِيمًا وَمَا نُنَبِّئُكُم بِالْبَلَاءِ
الَّذِي جَاءَ بِكُم مِّنْ قَوْمٍ حَصِيدِينَ ﴿٥٨﴾ [الزخرف: ٥٨].

١٥١٧- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تُتَمَارِ أَخَاكَ، وَلَا تُتَمَارِحُهُ، وَلَا
تَعِدُهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفُهُ»، أخرجه الترمذي بسند فيه ضعف.

(١) فيض القدير (٤/ ٣٧١).

(٢) أخرجه مسلم (١٦٥٨).



١٥١٨ - وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «أَبْغَضُ الرَّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْإِلْدُ الْخَصْمُ»، متفق عليه.

التوضيح:

- لَا تُمَارِ: المراء: هو الجدل وكثرة الملاحاة للشخص لبيان غلظه وإفحامه.
- الْإِلْدُ: هو شديد اللدد، كثير الخصومة.
- الْخَصْمُ: الذي يخصم أقرانه ويُحَاجُّهُمْ بالباطل، ولا يقبل الحق.

الدلالات الفقهية:

- ١ - جاء النهي عن المراء في حديث ابن عباس، وحقيقة المراء: طعنك في كلام غيرك؛ لإظهار خلل فيه لغير غرض سوى تحقير قائله، وإظهار مزيته عليه، والجدال هو ما يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها، والخصومة لجاح في الكلام ليستوفي به أو غيره، ويكون تارة ابتداء وتارة اعتراضاً، والمراء لا يكون إلا اعتراضاً، والكل قبيح إذا لم يكن لإظهار الحق وبيانه، وإدحاض الباطل وهدم أركانه^(١).
- ٢ - وأفاد الحديث النهي عن مازحة الأخ، والمزاح: الدعابة. والمنهي عنه: ما يجلب الوحشة، أو كان بباطل، أما ما فيه بسط الخلق، وحسن التخاطب، وجبر خاطر، فهو جائز؛ أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة أنهم قالوا: يا رسول الله، إنك لتداعبنا، قال: «إني لا أقول إلا حقاً».
- ٣ - وأفاد الحديث النهي عن إخلاف الوعد، وتقدّم أنه من صفات المنافقين، وظاهره التحريم، والمحرم أن تعده وأنت مضمّر لخلافه، وأما إذا وعدته وأنت عازم على الوفاء؛ فعرض مانع، فلا يدخل تحت النهي.
- ٤ - وفي حديث عائشة ذم الرجل كثير الخصومة وشديدها، والخصم الذي كلما احتج عليه بحجة أخذ في جانب آخر، وقد جاءت أحاديث عديدة في ذم الخصومة.
- ٥ - الذم إنما هو لمن خصم بباطل وبغير علم، وكذلك من يحمل على الخصومة محض العناد؛ لقهرة خصمه وكسره، بخلاف المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف^(٢).

(١) سبل السلام (٤ / ١٩٦).

(٢) سبل السلام (٤ / ٢٠٣-٢٠٤).

- ١ - قوله: «لَا تُمَارِ أَخَاكَ، وَلَا تُمَارِ حُفَّهُ»: ظاهرها التحريم، وهو كذلك إذا كان على جهة الباطل، وما يجلب الوحشة وإيغار الصدور، وأما إذا كان ليس كذلك فهو جائز لأدلة أخرى، كما سبقت الإشارة إليه في الدلالات.
- ٢ - قوله: «أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْإِلْدُ الْخَصْمُ»: هذه الصيغة الواردة في الحديث تدلُّ على أن الاتصاف بتلك الصفة من الكبائر.

العجلة من الشيطان:

- وقال الله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١].
- قال الله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء: ٣٧].
- وقال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجَلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجَلِكَ وَشَارَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا عُرُورًا﴾ [الإسراء: ٦٤].
- وقال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَيْتُمْ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ أَلْفَيْتُمْ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنْ أَلْفَى اللَّهُ كَانَ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ [النساء: ٩٤].

١٥١٩ - عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الأنأة من الله، والعجلة من الشيطان»، أخرجه الترمذي وقال حسن. [ضعفه العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١٣٧١)].

التوضيح:

- الأنأة: التأي والتبُّ وترك العجلة.

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - العجلة هي السرعة في الشيء، وهي مذمومة فيما كان المطلوب فيه الأنأة، محمودة فيما يطلب تعجيله من المسارعة إلى الخيرات ونحوها.
- ٢ - التأي كلُّه خير ومحمود العاقبة، وهو سببٌ لنيل محبة الله سبحانه؛ فقد قال النبي ﷺ:
لأشج عبد القيس: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمَ، وَالْأَنَاءَ» (١).

(١) الإحياء (٣/ ٣٣)، والحديث أخرجه مسلم (١٧).

قال الله تعالى: ﴿يَأْيَاهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْحَرَنَّ قَوْمٌ مِّن قَوْمِ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءِ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٥١﴾ يَأْيَاهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٢﴾ يَأْيَاهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ ذَكَرْنَا وَإِنَّا جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٥٣﴾ [الحجرات: ١٠-١٣].

١٥٢٠ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَجْدُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَىٰ هَاهُنَا، وَيُسِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، بِحَسَبِ امْرِيٍّ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ»، أخرجه مسلم.

١٥٢١ - وعن قطبة بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم جنّبي منكرات الأخلاق، والأعمال، والأهواء، والأدواء»، أخرجه الترمذي، وصحّحه الحاكم واللفظ له.

١٥٢٢ - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خصلتان لا يجتمعان في مؤمن: البخل، وسوء الخلق»، أخرجه الترمذي، وفي سنده ضعف.

١٥٢٣ - وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الشُّؤْمُ: سُوءُ الْخُلُقِ»، أخرجه أحمد، وفي إسناده ضعف.

١٥٢٤ - وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده: قال: قال رسول الله ﷺ: «ويل للذي يحدث، فيكذب: ليضحك به القوم، ويل له، ثم ويل له» أخرجه الثلاثة، وإسناده قوي.

[حسنه الترمذي في السنن (٢٣١٥)، والألباني في صحيح الجامع برقم (٧١٣٦)].

ترجمة الراوي:

قطبة بن مالك الثعلبي، من بني ثعلبة بن ذبيان، له صحبة، سكن الكوفة، توفي في حدود (٦٠).



التوضيح:

- لا تدابروا: أي: لا تقاطعوا.
- منكرات الأعمال: هي الكبائر، وذكر النبي ﷺ هذا مع عصمته منها؛ تعليمًا للأمة.
- والأهواء: جمع هوى، ويكون هوى النفس منكرًا عندما يكون ميلها إلى الشهوات.
- والأدواء: الأمراض.

الدلالات الفقهية:

- ١ - في حديث أبي هريرة توكيد تحريم الأموال، والدماء، والأعراض، والتحذير من ذلك، وقد سبق الكلام على كل جزئية منه في بابي الحدود والجنايات.
- ٢ - وفيه تحريم التحاسد، والنجش، وهو أن يزيد في السلعة المعروضة للبيع وهو لا يريد شراءها، وهو محرم؛ لما فيه من الخداع والتغريب بالمشتري، وقد سبق الكلام عليه، وكذلك تقدم الكلام عن التحابّ بين المسلمين، والنهي عن الهجر، وهو التدابر الوارد في الحديث.
- ٣ - وتضمن حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده النهي عن الكذب؛ قال النووي رحمه الله: (قد تظاهرت نصوص الكتاب والسنة على تحريم الكذب في الجملة، وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب، وإجماع الأمة منعقد على تحريمه مع النصوص المتظاهرة)^(١).
- ٤ - والحديث دليل على تحريم الكذب لإضحاك القوم، وهذا تحريم خاص، ويجرم على السامعين سماعه إذا علموه كذبًا؛ لأنه إقرار على المنكر، بل يجب عليهم النكير أو القيام من المجلس.
- ٥ - واعلم أنه يجوز الكذب اتفاقًا في ثلاث صور، كما أخرج مسلم في الصحيح، قال ابن شهاب: (لم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها).

(١) الأذكار (ص ٣٢٤).



الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - في حديث أبي هريرة إشارة إلى أن أكرم الخلق عند الله من اتصف بالتقوى لا بالجاه والنسب والرئاسة والمال؛ فرب من يحقره الناس -لضعفه، وقلة حظه من الدنيا- هو أعظم قدرًا ممن له قدره في الدنيا؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] (١).
- ٢ - إن أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لا يستطيع أفرادها أن يعيشوا متفاهمين متعاونين سعداء، ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة. ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لا بد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان: تفكك أفراد المجتمع، وتصارعوا، وتناهبوا مصالحهم، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار، ثم إلى الدمار.
- ٣ - دلت التجربات الإنسانية، والأحداث التاريخية، أن ارتقاء القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لارتقائها في سلم الأخلاق الفاضلة، ومتناسب معه، وأن انهيار القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لانهيار أخلاقها، ومتناسب معه، فبين القوى المعنوية والأخلاق تناسب طردي دائمًا (٢).
- ٤ - استعاذ النبي ﷺ من منكرات الأخلاق لأنها تكون سببًا لجلب كل شر ودفع كل خير.
- ٥ - قوله: «خَصْلَتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ: الْبُخْلُ، وَسُوءُ الْخُلُقِ»: أي لا ينبغي أن يجتمعا في مؤمن كامل الإيمان.
- ٦ - والبخل جنس تحته أنواع كبائر، وغير كبائر (٣)، فيكون البخل كبيرة إن كان قد بخل وامتنع عن واجب كالزكاة، وصلة الرحم، وقرى الضيف، وترك الإعطاء في النوائب، وترك الإنفاق في سبيل الله.
- ٧ - قال ابن القيم: (لما كان البخيل محبوسًا عن الإحسان، ممنوعًا عن البرِّ والخير، وكان جزاؤه من جنس عمله؛ فهو ضيق الصدر، ممنوع من الانشراح، ضيق العطن، صغير النفس، قليل الفرح، كثير الهمِّ والغمِّ والحزن، لا يكاد تقضى له حاجة، ولا يعان على مطلوب) (٤).

(١) توضيح الأحكام (٧/٤٣٥).

(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن جبنكة الميداني (١/٢٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/١٥٦).

(٤) الوابل الصيب (ص ٣٣).



٨ - وفي حديث عائشة بيان حقيقة سوء الخلق، وأنه الشؤم، وأن كل ما يلحق من الشرور فسببه سوء الخلق (١).

٩ - قال الصنعاني: (وهذا نظر في حكمة الله تعالى، ومحبته لاجتماع القلوب: كيف حرّم النميمة - وهي صدق - لما فيها من إفساد القلوب، وتوليد العداوة والوحشة. وأباح الكذب؛ وإن كان حراماً؛ إذا كان لجمع القلوب، وجلب المودة، وإذهاب العداوة) (٢).

طريقة الاستدلال:

١ - قوله: «خَصَلْتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ»: أي مؤمن كامل الإيمان، ولا بد من هذا التأويل، وإخراج اللفظ عن ظاهره؛ لما جاء من النصوص الدالة على أن المؤمن قد يعتريه ذلك وغيره من النقص، فينقصه عن درجة كمال الإيمان، لا عن أصل الإيمان.

٢ - قوله: «الشُّؤْمُ: سُوءُ الْخُلُقِ»: (ال) في الشؤم للاستغراق، أي: كل شؤم إنما هو من سوء الخلق، والمراد هنا المبالغة؛ وأن ذلك هو الغالب، هذا إن صح الحديث، وإلا فهو ضعيف.



(١) سبل السلام (٤/٢٠١).

(٢) سبل السلام (٤/٢٠٢).

باب الترغيب في مكارم الأخلاق

• الصدق:

• قال الله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

وقال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

١٥٢٥- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»، متفق عليه.

التوضيح:

- عليكم بالصدق: أي: الزموا الصدق، والمقصود الإغراء والحث عليه.
- الصدق: ما طابق الواقع.
- والكذب: ما خالف الواقع.
- يهدي: الهداية: الدلالة الموصلة إلى المطلوب.
- البر: اسم جامع للخير كله، وقيل: البر الجنة، ويجوز أن يتناول العمل الصالح والجنة معًا.
- الفجور: الميل عن الاستقامة، وقيل: الانبعاث في المعاصي.

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١- فيه حثٌّ على تحري الصدق، وهو قصده، والاعتناء به، وعلى التحذير من الكذب، والتساهل فيه؛ فإنه إذا تساهل فيه أكثر منه، فعرف به، وكتبه الله لمبالغته صديقاً - إن اعتاده - أو كذاباً إن اعتاده.
- ٢- ومعنى «يُكْتَبُ» هنا: يحكم له بذلك، ويستحق الوصف بمنزلة الصديقين وثوابهم، أو صفة الكذابين وعقابهم، والمراد إظهار ذلك للمخلوقين؛ إما بأن يكتبه في ذلك؛ ليشتهر بحظه من الصفتين في الملأ الأعلى، وإما بأن يلقى ذلك في قلوب الناس وألستهم، كما يوضع له القبول والبغضاء، وإلا فقد الله تعالى وكتابه السابق قد سبق بكل ذلك (١).

(١) شرح النووي على مسلم (١٦٠/١٦).



٣ - قال ابن القيم: (أصل أعمال القلوب كلها الصدق، وأضدادها من الرياء والعجب والكبر والفخر والخيلاء والبطر والأشر والعجز والكسل والجبن والمهانة وغيرها أصلها: الكذب؛ فكل عمل صالح ظاهر أو باطن فمنشؤه الصدق، وكل عمل فاسد ظاهر أو باطن فمنشؤه الكذب، والله تعالى يعاقب الكذاب بأن يقعده ويثبته عن مصالحه ومنافعه، ويثيب الصادق بأن يوفقه للقيام بمصالح دنياه وآخرته، فما استُجِلِبَتْ مصالح الدنيا والآخرة بمثل الصدق، ولا مفاسدتهما ومضارهما بمثل الكذب)^(١).

● آداب الجلوس على الطريق:

● قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

الآية شاملة للأمر بالعدل والإحسان وإيتاء الحقوق، وللنهي عن الأذى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل هذا من آداب الجلوس كما في الحديث.

١٥٢٥ - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا؛ نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ: «فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ». قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصْرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»، متفق عليه.

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

١ - في حديث أبي سعيد كراهة الجلوس على الطرقات إلا بحقها وهي: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢ - هناك آداب أخرى للطريق غير الوارد في هذا الحديث، نظمها ابن حجر بقوله: جمعت آداب من رام الجلوس على الط... ريق من قول خير الخلق إنسانا أفش السلام وأحسن في الكلام وشم... ت عاطسًا وسلامًا رد إحسانا في الحمل عاون ومظلومًا أعن وأغث... لهفان واهد سبيلا واهد حيرانا بالعرف مُرّ وانه عن نكر وكف أذى... وغض طرفاً وأكثر ذكر مولانا

(١) الفوائد (ص ١٤٤-١٤٥).



٣ - والحكمة في النهي عن الجلوس في الطرقات: أنه بجلوسه يتعرض للفتنة؛ فإنه قد ينظر إلى الشهوات من يخاف الفتنة على نفسه من النظر إليهن مع مرورهن. وفيه التعرض للزوم حقوق الله والمسلمين؛ ولو كان قاعدًا في منزله لما عرف ذلك، ولا لزمته الحقوق التي قد لا يقوم بها^(١).

طريقة الاستدلال:

قولهم: «قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَنَا بَدُّ مِنْ مَجَالِسِنَا» فيه دليل على أن صيغة إياكم لا تفيد الوجوب مطلقًا؛ فقد فهموا أن الأمر ليس للوجوب وأنه للترغيب فيما هو الأولى؛ إذ لو فهموا الوجوب لم يراجعوه.

● الفقه في الدين:

● قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا فَفَّرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

١٥٢٦ - عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا، يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»، متفق عليه.

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - حديث معاوية، فيه دليل على عظم شأن التفقه في الدين، وأنه لا يُعطاه إلا من أراد الله به خيرًا عظيمًا، كما يرشد إليه التنكير، ويدل له المقام.
- والفقه في الدين: تعلم قواعد الإسلام، ومعرفة الحلال والحرام، وفي الحديث دليل ظاهر على شرف الفقه في الدين والمتفقيين فيه على سائر العلوم والعلماء^(٢).
- ٢ - للتفقه في الدين طرق وأسباب، من أخذ بها نجح، وحصل له الفقه التام في دين الله، فمنها: تقوى الله تعالى، والإخلاص في الطلب، فلا يريد به إلا وجه الله والدار الآخرة، ومنها سلوك الطرق المستقيمة في التحصيل؛ فيعنى أول طلبه بالمختصرات لتلك العلوم وأصولها، حفظًا وفهمًا، ثم يتوسع فيها شيئًا فشيئًا، ولا يزوج بنفسه بالمراجع الكبار في أول الطلب، فيتشتت ذهنه، ويضيع جهده في أسفار العلم، والكتب الكبيرة، فيخرج بلا فائدة^(٣).

(١) سبل السلام (٤/٢٠٥).

(٢) سبل السلام (٤/٢٠٥) شرح النووي على مسلم (٧/١٢٨).

(٣) توضيح الأحكام (٧/٤٨٦).



- ١ - مفهوم الشرط: أن من لم يتفقه في الدين لم يرد الله به خيرًا، وقد ورد هذا المفهوم منطوقًا في رواية أبي يعلى: «ومن لم يفقه؛ لم يبال الله به».
- ٢ - وردت كلمة «خيرًا» نكرة في سياق الشرط لقصد العموم، أو التنكير للتعظيم؛ لأن المقام يقتضيه.

• الحياء:

• قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥].

- ١٥٢٧- عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ»، متفق عليه.
- ١٥٢٨- وعن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»، أخرجه البخاري.

التوضيح:

- الحياء: انقباض يجده الإنسان في نفسه؛ يحمله على عدم ملابسة ما يعاب به ويستقبح منه.

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - في الحديثين بيان فضيلة الحياء، وعلو منزلته؛ ووجه كونه من الإيمان: أن المستحي يقلع بحيائه عن المعاصي، ويقوم بالواجبات، وهكذا تأثير الإيمان بالله تعالى إذا امتلأ به القلب^(١).
- ٢ - قال ابن القيم: (خُلِقَ الحياء من أفضل الأخلاق، وأجلّها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا، بل هو خاصّة الإنسانية؛ فمن لا حياء فيه فليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم، وصورتهما الظاهرة، كما أنّه ليس معه من الخير شيء)^(٢).
- ٣ - قال الماوردي - رحمه الله -: (اعلم أن الحياء في الإنسان قد يكون من ثلاثة أوجه: حياؤه من الله تعالى؛ فيكون بامثال أوامره والكف عن زواجره.

(١) معالم السنن (٤/٣١٢)، توضيح الأحكام (٧/٤٨٩).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/٢٧٧).

حياؤه من الناس؛ فيكون بكف الأذى، وترك المجاهرة بالقيح.
حياؤه من نفسه؛ فيكون بالعفة وصيانة الخلوات.

فمتى كمل حياء الإنسان من وجوهه الثلاثة، فقد كملت فيه أسباب الخير، وانتفت عنه أسباب الشر، وصار بالفضل مشهوراً، وبالجميل مذكوراً^(١).

٤ - معنى قوله: «النبوة الأولى»: أن الحياء لم يزل أمره ثابتاً، واستعماله واجباً منذ زمان النبوة الأولى، وأنه ما من نبي إلا وقد ندب إلى الحياء، وبعث عليه، وأنه لم ينسخ فيما نسخ من شرائعهم، ولم يُبدل فيما بُدّل منها^(٢).

● لا تعجز عن مأمور ولا تجزع من مقدر:

● قال الله تعالى فيما أخبر عن العبد الصالح لقمان: ﴿يَبُيِّئُ أَقْرَبَ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

١٥٢٩ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، أَحْرَضَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا، كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»، أخرجه مسلم.

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

١ - المراد بالقوة في الحديث: عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد، وأسرع خروجاً إليه وذهاباً في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات، وأنشط طلباً لها ومحافظة عليها، ونحو ذلك^(٣)، وأيضاً يدخل في القوة كل شيء ينفع القوي به الناس: من قوة البدن، أو قوة العلم، أو قوة الفصاحة، أو قوة المال، أو قوة الجاه، أو غير ذلك مما يجعل صاحب القوة ينفع الناس ويؤثر فيهم بالخير.

(١) أدب الدنيا والدين بتصرف (ص ٣٠٨).

(٢) معالم السنن (٤/١٠٩).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٦/٢١٥).



باب الترغيب في مكارم الأخلاق

٢ - ثم أمر النبي ﷺ أبا هريرة بالحرص على طاعة الله، وطلب ما عنده، وعلى الاستعانة به في كل أموره؛ إذ حرص العبد بغير إعانة الله لا ينفعه:

إذا لم يكن عون من الله للفتى... فأكثر ما يبني عليه اجتهاده

ونهاه عن العجز - وهو التساهل في الطاعات - وقد استعاذ منه ﷺ بقوله: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، ومن العجز والكسل»^(١).

٣ - وعقب ذكر القوة بالاستعانة؛ تبيهاً على أن المؤمن القوي ليس قوياً من عند نفسه، ولا بمقومات شخصيته، وإنما هو قوي لاستعانتة بربه، وافتقاره إليه، وثقته في موعوداته الحققة^(٢).

٤ - ثم نهاه إذا أصابه شيء من حصول ضرر أو فوات نفع عن أن يقول: «لو»؛ لما يشعر به اللفظ من عدم الإيثار بالقضاء والقدر، ولما في ذلك من إيلاء النفس، وتسليط الشيطان على الإنسان بالوساوس والهموم.

والواجب بعد نزول المصائب: التسليم للقدر، والصبر على ما أصاب الإنسان، مع عمل الأسباب الجالبة للخير، والواقية من الشر والمكروه بدون تلوم^(٣).

التواضع:

قال الله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾

[الفرقان: ٦٣].

١٥٣٠ - عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»، أخرجه مسلم.

١٥٣١ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ»، أخرجه مسلم.

(١) سبل السلام (٤/٢٠٧).

(٢) مجلة البيان (العدد ٢٠٦ ص ٢٣).

(٣) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، (ص ١٣٠-١٣٣).



التوضيح:

- «أن تواضعوا»: أي لا تتكبروا بأن تعدوا لأنفسكم مزية على الغير في استحقاق التعظيم.
 - «ما نقصت صدقة من مال»: يحتمل أن يراد بعدم النقصان أنه يبارك فيه ويدفع عنه المفسدات، فيجبر نقص الصورة بالبركة الخفية - وهذا مدرك بالحس والعادة - ويحتمل أن يراد أنه يحصل بالثواب المرتب على فعل الصدقة جبر نقصان عينها، وكأن الصدقة لم تنقص المال، لما يكتب الله من مضاعفة الحسنه إلى عشرة أمثالها، والله يضاعف لمن يشاء.
 - «وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا»: يحتمل الحمل على ظاهره، وأن من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب وزاده عزة وكرامة، فيكون حقيقة، ويحتمل أن المراد الأجر في الآخرة والعز هناك.

- «وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»: قال القاضي عياض: (فيه وجهان: أحدهما: أن الله تعالى يمنحه ذلك في الدنيا جزاءً على تواضعه له، وأن تواضعه يُثبت له في القلوب محبةً ومكانةً وعزةً. والثاني: أن يكون ذلك ثوابه في الآخرة على تواضعه) (١).
 - قال أهل العلم: وهذه الاحتمالات في الألفاظ الثلاثة موجودة في العادة معروفة، وقد يكون المراد الاحتمالين معاً في جميعها في الدنيا والآخرة، والله أعلم.

الدلالات الفقهية:

- ١ - في حديث عياض دلالة على وجوب التواضع، وتحريم البغي والفخر، وهو مجمع على ذلك، والله أعلم.
- ٢ - ثمرة التواضع وغايته - كما في حديث عياض - أن: «لا يبغى أحد على أحد»، أي لا يظلمه، فإن البغي هو الظلم، و«لا يفخر أحد على أحد»، يعني لا يتكبر أحد على أحد.
- ٣ - في حديث أبي هريرة الحث على الصدقة، والعفو عن المسيء، وعدم مجازاته على إساءته، وإن كانت جائزة، لكن العفو عند المقدرة له مقام كبير عند الله وعند خلقه.

(١) إكمال المعلم (٨/ ٥٩).



الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

١ - التواضع من أهم الأخلاق المأمور بها في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، أي: بسكينة ووقار، متواضعين غير أشربين ولا مَرِحِينَ ولا متكبرين.

٢ - وحديث عياض بن حمار يعني: أن يتواضع كلُّ واحد للآخر، ولا يترفع عليه، بل يجعله مثله أو يكرمه أكثر، وكان من عادة السلف رحمهم الله: أن الإنسان منهم يجعل من هو أصغر منه مثل ابنه، ومن هو أكبر مثل أبيه، ومن هو مثله مثل أخيه، فينظر إلى من هو أكبر منه نظرة إكرام وإجلال، وإلى من هو دونه نظرة إشفاق ورحمة، وإلى من هو مثله نظرة مساواة، فلا يبغى أحدٌ على أحد، وهذا من الأمور التي يجب على الإنسان أن يتَّصف بها، أي بالتواضع لله عزَّ وجلَّ ولإخوانه من المسلمين^(١).

٣ - قال ابن القيم: (الفرق بين التواضع والمهانة: أن التواضع يتولَّد من بين العلم بالله سبحانه ومعرفة أسمائه وصفاته ونعوت جلاله، وتعظيمه ومحَبَّته وإجلاله، ومن معرفته بنفسه وتفاصيلها وعيوب عملها وآفاتِها، فيتولَّد من بين ذلك كله خُلُقٌ هو التواضع، وهو انكسار القلب لله، وخفض جناح الذلِّ والرَّحمة بعباده، فلا يرى له على أحدٍ فضلًا، ولا يرى له عند أحدٍ حقًّا، بل يرى الفضل للنَّاس عليه، والحقوق لهم قبَّله، وهذا خُلُقٌ إنَّمَا يعطيه الله عزَّ وجلَّ مَنْ يَحِبُّه ويكرمه ويقرِّبه. وأمَّا المهانة: فهي الدَّناءة والحسَّة، وبذل النَّفس وابتدائها في نيل حظوظها وشهواتها، كتواضع السُّفل في نيل شهواتهم، وتواضع المفعول به للفاعل، وتواضع طالب كلِّ حظٍّ لمن يَرجو نيلَ حظِّه منه، فهذا كلُّه ضِعَّةٌ لا تواضع، والله سبحانه يحبُّ التواضع، ويبغض الضُّعَّة والمهانة)^(٢).

الذنب عن أعراض المسلمين:

قال الله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

وقال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

(١) شرح رياض الصالحين (٣/ ٥٢٤).

(٢) الروح (ص ٢٣٤).



١٥٣٢ - عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ بِالْغَيْبِ، رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، أخرجه الترمذي وحسنه. [ضعفه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٦٠١/٣)]. ولأحمد من حديث أسماء بنت يزيد نحوه. [إسناده ضعيف].

التوضيح:

- مَنْ رَدَّ: أي: دفع عنه وحفظه.
- عِرْضُ أَخِيهِ: بكسر العين، وسكون الراء، هو النفس والحسب، وما يمدح به الإنسان ويذم.

الدلالات الفقهية:

١ - في الحديث دليل على فضيلة الرد على من اغتاب أخاه عنده، وهو واجب؛ لأنه من باب الإنكار للمنكر، ولذا ورد الوعيد على تركه، أخرج أبو داود وابن أبي الدنيا «ما من مسلم يخذل امرأ مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمة وينتقص من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته».

٢ - من حضر مجلس الغيبة، وجب في حقه واحد من أمور: الرد عن عِرْضِ أَخِيهِ المسلم، أو القيام من مجلس الغيبة، أو الخوض في كلام آخر، أو الإنكار بالقلب، والكرهية للقول، إن لم يستطع الرد، أو القيام، وإلا كان أحد المغتابين لسكوته وترك إنكار المنكر.

بذل النصيحة:

قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝﴾ [العصر: ١-٣].

١٥٣٣ - عن تميم الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»، أخرجه مسلم.

ترجمة الراوي:

تميم بن أوس الداري، أبو رقية الصحابي، كان صاحب ليل وتلاوة، وأول من أسرج السراج في المسجد، أسلم سنة (٩)، انتقل إلى الشام ونزل بيت المقدس، وتوفي سنة (٤٠).



التوضيح:

- قال الخطابي: (معنى النصيحة لله سبحانه: صحة الاعتقاد في وحدانيته، وإخلاص النية في عبادته).
والنصيحة لكتاب الله: الإيمان به والعمل بما فيه.
والنصيحة لرسوله: التصديق بنبوته، وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه.
والنصيحة لأئمة المؤمنين: أن يطيعهم في الحق، وألا يرى الخروج عليهم بالسيف إذا جاروا.
والنصيحة لعامة المسلمين: إرشادهم إلى مصالحهم^(١).

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - قال النووي: (هذا حديث عظيم الشأن، وعليه مدار الإسلام، وأما ما قاله جماعات من العلماء، أنه أحد أرباع الإسلام أي: أحد الأحاديث الأربعة التي تجمع أمور الإسلام، فليس كما قالوه، بل المدار على هذا وحده)^(٢).
- ٢ - النصيحة كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير والبر إرادةً وفعلاً، فهي بمثابة القلب الطاهر السليم للمنصوح له، وهي نافعة للناصح والمنصوح: فأما الناصح: فلما يحصل له من الأجر والثواب، ولما يسره ويفرحه من أثر نصحه وأعماله الطيبة. وأما المنصوح له، فلما يحصل له من خيري الدنيا والآخرة بسبب توجيه الناصحين، وإرشاد المحبين، والدلالة على وجوه الخير، والصلاح، والفلاح^(٣).

طريقة الاستدلال:

- قوله: «الدين النصيحة»: أي: هي عماد الدين وقوامه، كقوله ﷺ: «الحج عرفة»، فهو من الحصر المجازي لا الحقيقي؛ أي أنه أريد المبالغة في مدح النصيحة حتى جعلت كل الدين؛ وإن كان الدين مشتملاً على خصال كثيرة غيرها^(٤).

(١) معالم السنن (٢/١٢٦).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/٣٧).

(٣) توضيح الأحكام (٧/٥٠٨).

(٤) دليل الفالحين (١/٤٥٩).

قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ١٩ - ٢٤].

١٥٣٤ - عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»، أخرجه الترمذي وصحَّحه. [صحَّحه الحاكم في المستدرک (٤٣٣٥)، والنووي في الأذکار (٦٠٣)].

١٥٣٥ - وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»، أخرجه أبو داود، والترمذي وصحَّحه.

١٥٣٦ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَكْثَرُ مَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ: تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، أخرجه الترمذي، وصحَّحه الحاكم. [صحَّحه أيضًا الترمذي في السنن (٢٠٠٤)].

١٥٣٧ - وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّكُمْ لَا تَسْعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ لِيَسْمَعَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطَ الْوَجْهِ، وَحُسْنَ الْخُلُقِ»، أخرجه أبو يعلى، وصحَّحه الحاكم. [ضعفه ابن عدي في الكامل (٤٥٥/٦)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١٨١٨)].

١٥٣٨ - وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْمُؤْمِنُ مِنْ مِرَّةِ الْمُؤْمِنِ»، أخرجه أبو داود بإسناد حسن.

١٥٣٩ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَىٰ آذَانِهِمْ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ آذَانِهِمْ»، أخرجه ابن ماجه بإسناد حسن، وهو عند الترمذي إلا أنه لم يسم الصحابي. [حسَّنه الحافظ أيضًا في فتح الباري (٥١٢/١٠)].

١٥٤٠ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي، فَحَسِّنْ خُلُقِي»، رواه أحمد، وصحَّحه ابن حبان.



التوضيح:

- أفشوا السلام: أي: أظهروه وعُومُوا به الناس، ولا تتخصوا المعارف.
- لا تسعون: أي: لا تطيقون أن تُعمُّوهم بما يريدون.
- ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق: يعني: لا تتسع أموالكم لعطائهم، فحسنوا أخلاقكم لصحبتهم، فإن ذلك في إمكانكم، فلا عذر لكم في تركه.
- الخُلُق: حال في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجةٍ إلى فكر وروية^(١).
- مرآة المؤمن: أي: بمنزلة المرآة يرى فيها ما به من شعث ونحوه؛ فيصلحه.

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - إفشاء السلام يعني نشره على من يعرفه وعلى من لا يعرفه، وفي ذلك جلب للمحبة والألفة؛ فقد أخرج مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم».
- ٢ - وتقدم الكلام على صلة الأرحام مستوفى، وأما قوله ﷺ «وأطعموا الطعام»، فظاهره عموم الإطعام لمن يجب ويلزم إطعامه؛ ولو عرفاً أو عادة، وكالصدقة على السائل للطعام وغيره، فالأمر محمول على فعل ما هو أولى من تركه؛ ليشمل الواجب والمندوب.
- ٣ - والأمر بصلاة الليل في قوله: «صلوا بالليل»، ورد تفسيره بصلاة العشاء، فيكون المراد بـ(الناس): اليهود والنصارى. ويحتمل: أنه أريد ذلك، وما يشمل أيضاً نافلة الليل.
- ٤ - وقوله: «تدخلوا الجنة بسلام»: إخبار بأن هذه الأفعال من أسباب دخول الجنة؛ وكأنه بسببها يحصل لفاعلها التوفيق، وتجنب ما يوبقها من الأعمال، وحصول الخاتمة الصالحة^(٢).
- ٥ - قال ابن القيم: (حسن الخلق يقوم على أربعة أركان، لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل، ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة)^(٣).

(١) الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة (ص ٥).

(٢) سبل السلام (٤/٢٠٩).

(٣) مدارج السالكين (٢/٣٠٨).



٦ - وفي حديث أبي هريرة الأول دليل على عظمة تقوى الله، وحسن الخلق، وتقواه تعالى هي: الإتيان بالطاعات واجتناب المقبحات، فمن أتى بها، وانتهى عن المنهيات فهي من أعظم أسباب دخول الجنة^(١).

٧ - قال ابن حجر: (الصحيح أن الأعمال هي التي توزن، وفيه رد على الطيبي حيث قال: إنما توزن صحفها؛ لأن الأعمال أعراض، فلا توصف بثقل ولا خفة، والحق عند أهل السنة: أن الأعمال تُجسّد، أو تجعل في أجسام، فتصير أعمال الطائعين في صورة حسنة، وأعمال المسيئين في صورة قبيحة، ثم توزن)^(٢).

٨ - بينما في حديث أبي هريرة الثاني: بين النبي ﷺ أنه لا يتم شمول الناس بإعطاء المال؛ لكثرة الناس وقلة المال، فهو غير داخل في مقدور البشر، ولكن عليكم أن تسعوهم ببسط الوجه، والطلاقة، ولين الجانب، وخفض الجناح، ونحو ذلك مما يوجب التحاب بينكم، فإنه مراد الله، وذلك فيما عدا الكافر، ومن أمر بالإغلاظ عليه^(٣).

٩ - قوله: «الْمُؤْمِنُ مِنْ مِرَاةِ الْمُؤْمِنِ»: أي: يبصره من نفسه بما لا يراه بدونه، أو المؤمن في إراءة عيب أخيه؛ كالمرأة المجلوة التي تحكي ما ارتسم فيها من الصور؛ ولو أدنى شيء^(٤).

١٠ - وللتعبير بالمرأة دلالات عميقة، وإجاءات لطيفة، منها:

أ - أن الأصل في المرأة أن تعكس الصورة الظاهرية للآخرين، دون النفاذ إلى البواطن؛ وهكذا المؤمن تجاه إخوانه يراهم كما هم، يقبل ظواهرهم، والسرائر ليست إليه؛ بل هي إلى بارئها عز وجل هو وحده يتولاهما؛ وهذا هو المسلك الشرعي في الحكم على الأشخاص.

ب - حينما تكون المرأة صافية، فإنها تنقل الصورة كما هي دون تغيير أو تشويه، أما حينما يعلوها الغبار أو تتلخخ بالأقدار؛ فإنها تعكس ما بها من كدر على الأشياء الجميلة، فتبدو سيئة، لا في الحقيقة، ولكن بسبب كدر المرأة، وهكذا النفس البشرية، فهي حينما تصفو من الأدران المعنوية والأمراض القلبية كالبعوض والحسد وحب الظهور، فإنها تنصف الآخرين،

(١) سبل السلام (٤/ ٢١١).

(٢) المرجع السابق (٥/ ٦١٧).

(٣) سبل السلام (٤/ ٢١١).

(٤) التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي، (٢/ ٨٧٤).



وتراهم بما فيهم من غير تشويه أو تغيير، ولكن حينما تتلطح النفوس بالأدران، وتمرض القلوب بالأدواء، فلن تصفو صورة الآخرين لديها، كما هو حال تلك المرأة المملطخة، فلا بد من صقل القلوب كما تُصقل المرأة؛ لئلا نظلم الآخرين، ونظلم قبل ذلك أنفسنا.

ج - ومن لطائف هذا التعبير: أن المرأة لا تكتم القبائح والعيوب؛ بل تجليها وتُظهرها، ولكن ليس لكل أحد؛ بل حينما يُطل عليها صاحبها؛ وهكذا المؤمن ينصح أخاه ويُبصّر به عيوبه، ويستتر عليه دون تشهير أمام الآخرين؛ وفق الضوابط الشرعية المعروفة.

د - ومن اللطائف أيضًا: أن المرأة تتعامل مع الناس على حد سواء؛ فلا تفرق بين صديق وغيره، بل تنصف الجميع، فلا تزداد بهاءً وشفاءً مع صديق أو قريب؛ كما لا تتعامى عن عيوبه مهما بلغ قربه منها، وهكذا يجب على المؤمن أن يكون؛ فلا يتعامى عن عيوب من يحبه أو يوافقه، ويضخم نقائص من يكرهه أو يخالفه في الرأي؛ فالعدل مطلب شرعي على كل الأحوال^(١).

١١ - وفي حديث ابن عمر دليل على أفضلية من يخالط الناس مخالطة يأمرهم فيها بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحسن معاملتهم، فإنه أفضل من الذي يعتزلهم، ولا يصبر على المخالطة، والأحوال تختلف باختلاف الأشخاص والأزمان، ولكل حال مقال، ومن رجح العزلة؛ فله على فضلها أدلة، وقد استوفاهما الغزالي في الإحياء وغيرها^(٢).

١٢ - قوله: «اللهم كما حسنت خلقي»: أي: أوصافي الظاهرة «فحسن خلقي» أي: أوصافي الباطنة التي هي مناط الكمال؛ لأقوى على تحمل أثقال الخلق، وأنخلق بتحقيق العبودية، والرضا بالقضاء ومشاهدة الربوبية^(٣).

١٣ - طرق اكتساب الخلق الحسن: الأسباب والوسائل لذلك كثيرة، ومنها ما يلي:

أ - التدريب العملي، والممارسة التطبيقية للأخلاق الحسنة؛ ولو مع التكلّف في أول الأمر، وقسّر النفس على غير ما تهوى؛ فالعلم بالتعلم والحلم بالتحلم، والصبر بالتصبر،

(١) مجلة البيان (العدد ١٣٤ ص ١١١).

(٢) سبل السلام (٤/ ٢١١).

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي، (١/ ٤٢٨).

والاستعفاف بالتعفف، قال ﷺ: «ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يُصبره الله» متفق عليه.

ب - الانغماس في البيئة الصالحة؛ لأن من طبيعة الإنسان أن يكتسب من البيئة التي ينغمس فيها ويعيش مع أهلها، فيكتسب ما لديهم من أخلاق، وعادات، وتقاليد، وأنواع سلوك عن طريق المحاكاة والتقليد، وبذلك تتم العدوى النافعة، ولهذا قيل: إن الطبع للطبع يسرق، وأعظم من ذلك: توجيه النبي ﷺ، وبيانه: أن المجلس الصالح كحامل المسك، إما أن تبتاع منه، أو تجد منه ريحاً طيبة. ولا شك أن الرجل على دين خليله، فليُنظر كل مسلم من يخال؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال»^(١).

طريقة الاستدلال:

مفهوم حديث عبد الله بن سلام: أن من لم يفش السلام، ويصل الأرحام، ويطعم الطعام، ويقوم بالليل: أنه لا يدخل الجنة بسلام. وهذا المفهوم محمول على القدر الواجب من ذلك، إلا أنه متخلف في إفشاء السلام؛ إذ هو في كل الأحوال سنة ابتداء.



(١) ينظر: الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة (ص ١٦)، الأخلاق الإسلامية وأسسها، للميداني، (٢٠٩/١). والحديث أخرجه أحمد (٨٠١٥)، وهو في السلسلة الصحيحة (٢/٦٣٣).

باب الذكر والدعاء

فضل الذكر:

قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٤].

١٥٤١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَاتُهُ»، أخرجه ابن ماجه، وصححه ابن حبان، وذكره البخاري تعليقا. [في إسناده امرأة مجهولة].

١٥٤٢- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ عَمَلًا أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»، أخرجه ابن أبي شيبة والطبراني بإسناد حسن. [أعله بالوقف: الدارقطني في العلل (٣/٤٣)].

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

١- في الحديثين بيان فائدتين من الفوائد الكثيرة للذكر، وعدد ابن القيم رحمه الله في كتابه القيم (الوابل الصيب) ما يزيد على السبعين فائدة للذكر، ومن ذلك ما جاء في حديث أبي هريرة، من أن الذكر قريب من مذكوره - وهو الله تعالى - وأنه تعالى معه، وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة، فهي معية بالقرب والولاية، والمحبة والنصرة، والإعانة والتوفيق.

٢- وفي حديث معاذ: أن من فوائده: أنه يحطُّ الخطايا ويذهبها، ويُنجيُّ الذَّاكر من عذاب الله.

٣- ومن فوائد الذكر: أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ وَقْرَيْنٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]، قال ابن القيم رحمه الله: (فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة؛ لكان حقيقاً بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى، وأن لا يزال لهجاً بذكره)^(١).

(١) الوابل الصيب (ص ٧٢).

٤ - ومن فوائد ذكر الله العظيمة: أنه يجلبُ لقلب الذَّكَرِ الفَرَحَ والسُّرورَ والرَّاحةَ، ويورث القلبَ السُّكونَ والطَّمأنينةَ، كما قال اللهُ تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، بل إنَّ الذِّكْرَ هو حياة القلب حقيقتاً، وهو قوت القلب والروح، فإذا فقدَه العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته، فلا حياة للقلب حقيقة إلا بذكر الله، ولهذا يقول شيخ الإسلام: (الذِّكْرُ للقلب مثل الماء للسَّمك، فكيف يكون حال السَّمك إذا فارق الماء؟!)(١).

● فضل مجلس الذكر:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطَّعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١].

وقال اللهُ تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].
وقال صالح عليه السلام لقومه فيما حكى اللهُ عنه: ﴿لَوْلَا تَسْتَعْفِفُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦].

ويدل على أن الصلاة على النبي ﷺ من الذكر قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] قال ابن كثير: (قَالَ مُجَاهِدٌ: لَا أَذْكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ مَعِي).

١٥٤٣ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا، يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَعَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»، أخرجه مسلم.

١٥٤٤ - وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، أخرجه الترمذي، وقال: حسن. [صححه ابن حبان في الصحيح (٥٩١)، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٥١٣)].

(١) الوابل الصيب (ص ٨٥).



التوضيح:

- حفتهم الملائكة: أي أحاطت بهم ملائكة الرحمة والبركة.
- وغشيتهم الرحمة: أي: علتهم وغمرتهم وعمتتهم الرحمة.
- السكينة: حالة يطمئن بها القلب فيسكن عن الميل إلى الشهوات وعند الرعب.
- فيمن عنده: من الأنبياء وكرام الملائكة.

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - مجالس الذكر هي أزكى المجالس وأشرفها، وأنفعها وأرفعها، وهي أعلى المجالس قدرًا عند الله، وأجلها مكانةً عنده، وقد دلَّ الحديث الأول على أن مجالس الذكر سبب لنزول السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة بالذاكرين وذكر الله لهم فيمن عنده^(١).
- ٢ - ودلَّ على فرح الله تعالى بطاعة خلقه له، وعبادتهم إياه، مع غناه عنهم وعن عبادتهم، ولكنه يرضى ذلك لعباده، لكمال فضله ورحمته بعباده، وتحقيق حكمته من خلق عباده^(٢).
- ٣ - ودلَّ على أهمية حفظ الوقت والحرص عليه، وأن أفضل ما تنفق فيه الأوقات، هو ذكر الله تعالى، وأن من ذكر الله: مجالس العلم، وتعلم أحكام الله تعالى من أصول الدين وفروعه^(٣).
- ٤ - ودلَّ الحديث الثاني على أن مجالس الذكر والصلاة على النبي ﷺ تُؤمِّنُ العبد من الحسرة والندامة يوم القيامة، بخلاف مجالس اللهو والغفلة، فإنَّها تكون على صاحبها حسرةً وندامةً يوم القيامة، وقد روى أبو داود بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من قعد مقعدًا لم يذكر الله تعالى فيه، كانت عليه من الله تعالى ترة» أي: نقصٌ وتبعةٌ وحسرةٌ.
- ٥ - ومن شرف مجالس الذكر وعلو مكانتها عند الله، أن الله تعالى يُباهي بالذاكرين ملائكته، كما روى مسلمٌ عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ مر على حلقة من الصحابة في المسجد يذكرون الله، فقال النبي ﷺ: «أتاني جبريل فأخبرني أن الله تبارك يُباهي بكم الملائكة»، فهذه المباهاة من الربِّ دليل على شرف الذكر عند الله، ومحبتة له، وأن له مزيةً على غيره من الأعمال^(٤).

(١) فقه الأذعية والأذكار (١/٢٨).

(٢) توضيح الأحكام (٧/٥٢٦).

(٣) ينظر: توضيح الأحكام (٧/٥٢٧).

(٤) الوابل الصيب (ص ١٤٨).

٦ - ومجالس الذكر سببٌ عظيم من أسباب حفظ اللسان، وصونه عن الغيبة والنميمة، والكذب والفحش والباطل، فإن العبد لا بُدَّ له من أن يتكلم، فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى؛ وذكر أو امره وبالخير والفائدة؛ تكلم ولا بُدَّ بهذه المحرمات أو بعضها، فمن عوّد لسانه على ذكر الله صان لسانه عن الباطل واللغو، ومن بيّس لسانه عن ذكر الله نطق بكل باطل ولغو وفحش (١).

فضائل أذكار مخصوصة:

قال الله تعالى: ﴿وَالْبَلَقِيَّتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرًا أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

١٥٤٥ - عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدُّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»، متفق عليه واللفظ لمسلم.

١٥٤٦ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَيَحْمَدُهُ مِائَةً مَرَّةً حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»، متفق عليه.

١٥٤٧ - وعن جويرية بنت الحارث رضي الله عنها قالت: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ قُلْتَ بِعَدْلِكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتَ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزِنْتَهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَيَحْمَدُهُ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»، أخرجه مسلم.

١٥٤٨ - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، أخرجه النسائي، وصححه ابن حبان والحاكم. [إسناده ضعيف].

١٥٤٩ - وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّنَ بَدَأَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»، أخرجه مسلم.

١٥٥٠ - وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، متفق عليه. وصححه الحاكم من حديث أبي هريرة وزاد فيه: «لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ».

(١) الوابل الصيب (ص ١٦٦)، وانظر فقه الأدعية والأذكار (١/ ٢٨) وما بعدها.



١٥٥١ - وعن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا أصبح يقول: «اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور»، وإذا أمسى قال مثل ذلك: إلا أنه قال: «وإليك المصير» أخرجه الأربعة. [حسنه الترمذي في السنن (٣٣٩١)، وصححه ابن القيم في زاد المعاد (٢/٣٣٧)، والنووي في الأذكار (١٧٣)، وابن حجر في نتائج الأفكار (٢/٣٤٨)].

ترجمة الراوي:

جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن جذيمة الخزاعية المصطلقية، أم المؤمنين، كان أبوها سيد قومه في الجاهلية، فسببت مع بني المصطلق، فافتداها أبوها، ثم زوجها لرسول الله ﷺ، وكانت من فضليات النساء أدباً وفصاحة، توفيت سنة (٥٠).

التوضيح:

- سبحان الله وبحمده: أي: أنزه الله عن كل نقص تنزيهاً مقروناً بحمده.
- حطت خطاياها: أي: غفرت ذنوبه.
- زبد البحر: هو ما يعلو على وجهه عند هيجانه.
- ومداد كلماته: يجوز أن يكون قطر البحار، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقيل: مداد كلماته أي مثل عددها، وقيل: قدر ما يوازيها في الكثرة.
- الباقيات: أي: التي يبقى ثوابها، ويدوم جزاؤها.
- لا حول: الحول: القوة والقدرة على التصرف^(١).
- اللهم بك أصبحنا... إلخ: الباء متعلق بمقدر: أي: بقوتك وقدرتك وإيجادك أصبحنا.

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - جاء حديث أبي أيوب بلفظ آخر؛ فقد أخرج أحمد من طريق عبد الله بن يعيش عن أبي أيوب وفيه: «من قال إذا صلى الصبح: لا إله إلا الله.. الحديث»، فذكره بلفظ: «عشر مرات، كن كعدل أربع رقاب، وكتب له بهن عشر حسنات، ومحى عنه بهن عشر

(١) ينظر: مادة (حول) في القاموس المحيط: ص ٤٤١، ومختار الصحاح: ص ٨٤.



سينات، ورفع له بهن عشر درجات، وكن له حرزًا من الشيطان حتى يمسي»، وإذا قالها بعد المغرب، فمثل ذلك، وسنده حسن^(١).

٢ - ذكر العشر الرقاب في بعض الروايات، والأربع في بعضها، كأنه باعتبار الذاكرين في استحضارهم معاني الألفاظ بالقلوب، وإمحاض التوجه والإخلاص لعلام الغيوب، فيكون اختلاف مراتبهم باعتبار ذلك وبحسبه، كما قال القرطبي^(٢).

٣ - وفيه دلالة على عظم شأن كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله»، التي هي أجل الكلمات على الإطلاق، وأفضل ما قاله النبيون، ولأجلها قامت الأرض والسموات، وخلقت الخلائق والبريات، وأهلها هم أهل السعادة والفلاح، والفوز في الدنيا والآخرة، فكلمة هذا شأنها حري بالمسلم أن تعظم عنايته بها، والله وحده بيده التوفيق والسداد^(٣).

٤ - قوله: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةً مَرَّةً»: قال النووي: (إطلاقه يقتضي حصول هذا الأجر، سواء قالها متوالية أو متفرقة، لكن الأفضل أن يأتي بها متوالية في أول النهار، فتكون حرزًا له في جميع نهاره).

٥ - قوله: «حطت عنه خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر»: العلماء يقيدون هذا وأمثاله بصغائر الذنوب، وأما الكبائر فيقولون: إنها لا يمحوها، ولا يكفرها إلا التوبة النصوح، وذكر الإمام النووي أنه إذا لم توجد صغائر، فإنه يرجى أن تخفف الكبائر^(٤).

٦ - وفي حديث جويرية دليل على فضل تلك الكلمات، وأن قائلها يدرك فضيلة تكرار القول بالعدد المذكور^(٥)، فهذا ذكر عظيم مبارك أرشد إليه النبي ﷺ، وبين أنه ذكر مضاعف، يزيد في الفضل والأجر على مجرد الذكر بسبحان الله أضعافًا مضاعفة؛ لأن ما يقوم بقلب

(١) أخرجه أحمد (٢٣٥١٨)، وحسنه ابن حجر في الفتح (٢٠٨/١١)، والصنعاني في سبل السلام (٣٢٦/٤).

(٢) سبل السلام (٢١٦/٤).

(٣) فقه الأدعية والأذكار (٣١/٣).

(٤) توضيح الأحكام (٥٣٥/٧).

(٥) سبل السلام (٢١٧/٤).



الذاكر حين يقوله من معرفة الله وتنزيهه وتعظيمه بهذا القدر المذكور من العدد أعظم مما يقوم بقلب من قال: «سبحان الله» فقط^(١).

٧ - وقوله: «ورضا نفسه» المراد تسييحاً هو في العظمة والجلال مساوٍ لرضا نفسه، كما أنه في الأول مخبرٌ عن تسييحٍ مساوٍ لعدد خلقه، ولا ريب أن رضا نفس الرب أمر لا نهاية له في العظمة والوصف.

٨ - وقوله: «وزنة عرشه» فيه إثبات العرش، وإضافته إلى الرب سبحانه وتعالى، وأنه أثقل المخلوقات على الإطلاق؛ إذ لو كان شيء أثقل منه لوزن به التسييح. فالتضعيف الأول للعدد والكمية، والثاني للصفة والکیفیه، والثالث للعظم والثقل وكبر المقدار.

٩ - وقوله: «ومداد كلماته» هذا يعم الأقسام الثلاثة ويشملها؛ فإن مداد كلماته سبحانه وتعالى لا نهاية لقدره، ولا لصفته، ولا لعدده، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]، ومعنى هذا أنه لو فرض البحر مداداً، وجميع أشجار الأرض أقلاماً، والأقلام تستمد بذلك المداد، فستفنى البحار والأقلام، وكلمات الرب لا تفنى ولا تنفذ!! والمقصود أن في هذا التسييح من صفات الكمال ونعوت الجلال ما يوجب أن يكون أفضل من غيره^(٢).

١٠ - وفي حديثي أبي سعيد وسمرة دليل على أن خير الكلام وأفضل الذكر بعد القرآن الكريم تلك الأربع الكلمات، وأنَّ لهنَّ قدرًا رفيعًا وشأنًا عظيمًا ومكانةً عاليةً في دين الله تعالى.

١١ - فمن فضائلهن: أثنى أحب الكلام إلى الله تعالى، وأخبر النبي ﷺ أَنَّهُنَّ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، أي من الدنيا وما فيها، ومن فضائلهن أَنَّهُنَّ مَكْفُورَاتٌ لِلذَّنُوبِ، فعن أنس رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِشَجَرَةٍ يَابِسَةٍ الْوَرَقِ، فَضَرَبَهَا بِعَصَاهُ فَتَنَاقَرَتِ الْوَرَقُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ؛ لَتَسَاقُطَ مِنْ ذُنُوبِ الْعَبْدِ كَمَا تَسَاقُطُ وَرَقُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ»^(٣).

(١) فقه الأدعية والأذكار (٣/ ٤١).

(٢) المنار المنيف (ص ٢٧-٣٠).

(٣) رواه الترمذي (٣٥٣٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٦٠١).



١٢ - وفي حديث أبي موسى فضل قول: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، وقد تنوّعت الأحاديث في الدلالة على تشريف هذه الكلمة وتعظيمها؛ حيث أخبر النبي ﷺ أنّها من أبواب الجنة، وأنها من كنز تحت العرش، وأنها غراس الجنة، وأنها من الباقيات الصالحات التي ينبغي للعبد أن يستكثر منها، وجاءت الأحاديث بالأمر بالإكثار من قولها.

١٣ - ومن الأمور اللازمة في هذا الباب والمتأكدة على كل مسلم أن يفهم مدلول هذه الكلمة ومعناها؛ فهما كلمتا إسلام واستسلام، وتفويض وتبرؤ من الحول والقوة إلا بالله، وأنّ العبد لا يملك من أمره شيئاً، وليس له حيلة في دفع شرٍّ، ولا قوة في جلب خيرٍ إلا بإرادة الله تعالى. فلا تحوّل للعبد من معصية إلى طاعة، ولا من مرض إلى صحة، ولا من وهن إلى قوة، ولا من نقصان إلى كمال وزيادة إلا بالله، ولا قوة له على القيام بشأن من شؤونه، أو تحقيق هدفٍ من أهدافه أو غاية من غاياته إلا بالله العظيم.

١٤ - وأما ما جاء في حديث أبي هريرة فيما يقال في الصباح والمساء، فهو دعاء نبوي عظيم، وذكر مبارك، يجدر بالمسلم أن يحافظ عليه كل صباح ومساء، ويتأمل في معانيه الجليلة ودلالاته العظيمة، وكيف أنه قد اشتمل على تذكير المسلم بعظيم فضل الله عليه وواسع منّه وإكرامه، فنوم الإنسان ويقظته، وحركته وسكونه، وقيامه وقعوده إنما هو بالله عز وجل، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

١٥ - وقوله: «وبك نحيا وبك نموت» أي حالنا مستمر على هذا في جميع الأوقات وسائر الأحوال، في حركاتنا كلها وشؤوننا جميعها، فإننا نحن بك، أنت المعين وحدك، وأزمة الأمور كلها بيدك، ولا غنى لنا عنك طرفة عين، وفي هذا من الاعتماد على الله واللجوء إليه والاعتراف بمنه وفضله ما يحقق للمرء إيمانه ويقوي يقينه ويعظم صلته بربه سبحانه.

١٦ - وقوله في الحديث: «وإليك النشور» أي المرجع يوم القيامة، بعث الناس من قبورهم، وإحيائهم بعد إماتتهم. وقوله: «وإليك المصير» أي المرجع والمآب، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ﴾ [العلق: ٨].

١٧ - وقد جعل ﷺ قوله: «وإليك النشور» في الصباح، وقوله: «وإليك المصير» في المساء؛ رعاية للتناسب والتشاكل؛ لأن الإصباح يشبه النشر بعد الموت، والنوم موتة صغرى، والقيام منه يشبه النشر من بعد الموت، قال الله تعالى: ﴿لَهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا

وَأَلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ [الزمر: ٤٢] والإمساء يشبه الموت بعد الحياة؛ لأن الإنسان يصير فيه إلى النوم الذي يشبه الموت والوفاة، فكانت بذلك خاتمة كل ذكر متجانسة غاية المجانسة مع المعنى الذي ذكر فيه (١).

● فضل الدعاء وآدابه:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، فسَمِيَ الله الدعاء عبادة.

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٧٧] قال السعدي: لولا دعاؤكم إياه دعاء العبادة ودعاء المسألة ما عبأ بكم ولا أحبكم. وقال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّا لِلَّهِ كَانُ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].
١٥٥٢- عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ»، رواه الأربعة، وصحَّحه الترمذي. [صحَّحه النووي في الأذكار (٩٩٤)، والمنائوي في التيسير بشرح الجامع الصغير (١١/٢)]. وللترمذي من حديث أنس بلفظ: «الدعاء مخ العبادة». [ضعفه الترمذي في السنن (٣٣٧١)].

١٥٥٣- وله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رفعه: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ»، وصحَّحه ابن حبان والحاكم. [أعله العقيلي في الضعفاء (٣/٣٠٠)].

١٥٥٤- وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ»، أخرجه النسائي وغيره، وصحَّحه ابن حبان وغيره. [في رفعه نظر، كأن الموقف أشبه].

١٥٥٥- وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَجِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يُرَدَّهُمَا صَفْرًا»، أخرجه الأربعة إلا النسائي وصحَّحه الحاكم.

[أشار الترمذي في السنن (٣٥٥٦) إلى إعلاله بالموقف].

(١) فقه الأدعية والأذكار (٢٣/٣).



١٥٥٦ - وعن عمر رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا مَدَّ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ، لَمْ يَرُدَّهُمَا، حَتَّى يَمْسَحَ بِهِنَّ وَجْهَهُ»، أخرجه الترمذي، وله شواهد منها حديث ابن عباس عند أبي داود، ومجموعها يقضي بأنه حديث حسن. [أنكره ابن معين فيما نقله ابن الجوزي في العلل المتناهية (١٤٠٧)، وأبو زرعة في العلل (٢١٠٦)].

١٥٥٧ - وعن بريدة رضي الله عنه قال: سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أُجَابَ»، أخرجه الأربعة وصحَّحه ابن حبان. [والحاكم في المستدرک (٣٠ / ٣)، والألباني في صحيح أبي داود (١٣٤١)].

التوضيح:

- يَرُدَّهُمَا صِفْرًا: أي: خاليتين.
- الأحد: هو الذي توحد بجميع الكمالات، وتفرد بكل مجد وجلال، وجمال، وغيرها من صفات الكمال فليس له فيها مثل ولا نظير، ولا مناسب بوجه من الوجوه.
- والصمد: السيد الذي يُصمد إليه في الحوائج، ويقصد، والمتصف به على الإطلاق: هو الذي يستغني عن غيره مطلقاً، وكل ما عداه محتاج إليه، وليس ذلك إلا الله تعالى.
- لم يلد: أي: لم يجانس، ولم يفتقر إلى ما يعينه، أو يخلف عنه؛ لامتناع الحاجة والفناء عليه، وهو رد على من ادعى الولد لله تعالى.
- ولم يولد: أي: لم يسبقه شيء.
- كُفُوًا أَحَدٌ: الكفو: المائل، أي: لم يكن أحد يماثله في شيء من صفات كماله، وعلو ذاته.

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - الدعاء شأنه عظيم، ومكانته في الإسلام سامية، ومنزلته عالية؛ إذ هو أجل العبادات وأعظم الطاعات وأنفع القربات، ولهذا جاءت النصوص الكثيرة مبينة لفضله، ومنوهة بمكانته وعظم شأنه، ومرغبة فيه وحاثة عليه، وقد تنوعت دلالات هذه النصوص، فجاء



في بعضها الأمر به والحث عليه، وفي بعضها التحذير من تركه والاستكبار عنه، وفي بعضها ذكر عظم ثوابه وكبر أجره عند الله، وفي بعضها مدح المؤمنين لقيامهم به، والثناء عليهم بتكميله، وغير ذلك من أنواع الدلالات في القرآن الكريم على عظم فضل الدعاء^(١).

٢ - إن حاجة المسلم إلى الدعاء ماسة في أموره كلها، وضرورته إليه ملحة في شؤونه جميعها، روى الإمام أحمد في كتاب الزهد عن قتادة قال: قال مورق رحمه الله: (ما وجدت للمؤمن مثلاً إلا رجلاً في البحر على خشبة، فهو يدعو: يا رب يا رب، لعل الله عز وجل أن ينجيه).

٣ - في حديث النعمان بيان عظمة شأن الدعاء، وأنه أساس العبودية وروحها، وعنوان التذلل والخضوع والانكسار بين يدي الرب، وإظهار الافتقار إليه.

٤ - إن العبد كلما عظمت معرفته بالله وقويت صلته به كان دعاؤه له أعظم، وانكساره بين يديه أشد، ولهذا كان أنبياء الله ورسله أعظم الناس تحقيقاً للدعاء وقياماً به في أحوالهم كلها وشؤونهم جميعها؛ قال الله تعالى في وصفهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

٥ - وفي حديث أبي هريرة: بيان فضل الدعاء وكرامته على الله تعالى؛ وذلك أن الدعاء هو العبادة، وهو لبها وروحها، والعبادة هي الغاية التي خلق الخلق لأجلها، وأوجدوا لتحقيقها، وأكرمها عند الله هو الدعاء^(٢).

٦ - وقال ابن القيم: (ومن أنواع الشرك: طلب الحوائج من الميت، والاستعانة به، والتوجه إليه، وهذا أصل شرك العالم؛ فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، فضلاً عما استغاث به، أو سأله أن يشفع له إلى الله تعالى)^(٣).

٧ - قوله: «لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة» أي: بل يقبل ويستجاب، يعني فادعوا كما في رواية ابن حبان، وفيه دليل على قبول الدعاء في هذا الوقت، إذ عدم الرد يراد به القبول، لكن بعد جمع شروط الدعاء وأركانه وآدابه، فإن تخلف شيء منها فلا يلوم إلا نفسه^(٤).

(١) فقه الأدمية والأذكار (٧/٢).

(٢) فقه الأدمية والأذكار (٨/٢-١٣).

(٣) توضيح الأحكام (٧/٥٤٩).

(٤) مرعاة المفاتيح (٢/٣٧٧).



- ٨ - الحكمة في استجابة الدعاء في هذا الوقت - والله أعلم - أن الإنسان ما دام ينتظر الصلاة فهو في صلاة، والصلاة موطن استجابة الدعاء؛ لأن العبد يناجي ربه فيها^(١).
- ٩ - وفي حديث سلمان وصفه تعالى بالحياء، ويحمل على ما يليق به كسائر صفاته، نؤمن بها ولا نكفيها، ولا يقال: إنه مجاز، هذا مذهب أئمة الحديث والصحابة وغيرهم.
- ١٠ - وفي الحديث دلالة على استحباب رفع اليدين في الدعاء^(٢).
- ١١ - حكمة رفع اليدين أثناء الدعاء: إظهار الافتقار والفاقة أمام الغني الكريم، وتفاوتاً في أن يضع فيهما جل وعلا الحاجة المطلوبة منه^(٣).
- ١٢ - في حديث عمر دليل على استحباب مسح الوجه باليدين بعد الفراغ من الدعاء، وهو المذهب عند الحنفية والشافعية^(٤)، وكان المناسبة: أنه تعالى لما كان لا يردهما صِفراً، فكأن الرحمة أصابتهما، فناسب إفاضة ذلك على الوجه الذي هو أشرف الأعضاء وأحقها بالتكريم. بينما يرى بعض الحنفية والعز بن عبد السلام وشيخ الإسلام أنه لا يشرع ذلك^(٥)؛ قال شيخ الإسلام: (رفع النبي ﷺ يديه في الدعاء جاء فيه أحاديث كثيرة صحيحة، وأما مسحه وجهه بيديه: فليس عنه فيه إلا حديث أو حديثان، لا تقوم بهما حجة)^(٦).
- ١٣ - وفي حديث بريدة دليل على أنه ينبغي تحري تلك الكلمات عند الدعاء؛ لإخباره ﷺ أنه إذا سئل بها أعطى، وإذا دعي بها أجاب، والسؤال: الطلب للحاجات، والدعاء: أعم منه، فهو من عطف العام على الخاص^(٧).
- ١٤ - الأحاديث الثابتة كثيرة في ذكر اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى، ولأجل هذا فقد كان لمعرفة هذا الاسم والبحث عنه شأن عظيم عند أهل العلم، ولهم في ذلك أبحاث كثيرة مطولة ومختصرة، قال الشوكاني: (وقد اختلف في تعيين الاسم الأعظم

(١) توضيح الأحكام (٧/٥٥١).

(٢) سبل السلام (٤/٢١٩).

(٣) توضيح الأحكام: (٧/٥٥٣).

(٤) الموسوعة الكويتية (٤٢/٣٦٦).

(٥) الفتاوى الهندية (٥/٣١٨)، الفواكه الدواني (٢/٣٣٠)، مغني المحتاج (١/٣٧٠)، المغني (١/٤٤٩).

(٦) مجموع الفتاوى (٢٢/٥١٩).

(٧) سبل السلام (٤/٢٢٢).

على نحو أربعين قولاً، قد أفردها السيوطي بالتصنيف^(١)، وقد قال الحافظ ابن حجر عن حديث بريدة الذي معنا: (وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك)^(٢).

● فضل الصلاة على النبي ﷺ:

● قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وقال الله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلٍهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]

١٥٥٨- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً»، أخرجه الترمذي، وصححه ابن حبان. [أعله بالاضطراب الدارقطني في العلل (٢/٣٣٩)].

التوضيح:

- أولى الناس بي يوم القيامة: أي: أقربهم مني في القيامة، وأحقهم بشفاعتي؛ أكثرهم علي صلاة في الدنيا؛ فتكون منازلهم في الآخرة منه بحسب تفاوتهم في ذلك.

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

١ - الصلاة على النبي ﷺ من أجل الأذكار وأفضل القربات، وأجل الطاعات، وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله- تسعاً وثلاثين فائدة في الصلاة على النبي ﷺ في كتابه (جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام)، والإكثار من الصلاة والسلام عليه علامة محبته ﷺ.

٢- إنما كان القرب منه ﷺ بحسب كثرة الصلاة عليه في الدنيا؛ لأن الاستكثار من الصلاة عليه ﷺ يورث المحبة؛ قال المناوي: (لأن كثرة الصلاة عليه تدل على صدق المحبة وكمال الوصلة، فتكون منازلهم في الآخرة منه بحسب تفاوتهم في ذلك). وقال أبو نعيم: (هذه منقبة شريفة يختص بها رواة الآثار ونقلتها؛ لأنه لا يعرف لعصاة من العلماء من الصلاة على النبي ﷺ أكثر مما يعرف لهذه العصاة نسحاً وذكرًا)^(٣).

(١) فقه الأدعية والأذكار (١/١٥٣)، تحفة الذاكرين (ص ٦٧).

(٢) فتح الباري (١١/٢٢٥).

(٣) مرعاة المفاتيح (٣/٢٦١).



٣ - اقتصر ابن حجر في هذا الباب على حديث ابن مسعود مع أنه حديث معلول، ولم يذكر الأحاديث الأخرى الصحيحة في فضل الصلاة على النبي ﷺ؛ مثل ما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ؛ فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة» [صحيح مسلم (٣٨٤)].

أفضل الاستغفار:

قال الله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨] في الآية بيان أفضل أوقات الاستغفار.

١٥٥٩ - عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ، أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبوءُ لَكَ بِذُنُوبِي، فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»، أخرجه البخاري.

التوضيح:

- سيد الاستغفار: أي: أفضل أنواع صيغته.
- وأنا على عهدك ووعدك: أي: ما عاهدتك عليه وواعدتك من الإيثار بك، وإخلاص الطاعة لك.
- ما استطعت: أي: مدة داوم استطاعتي، ومعناه: الاعتراف بالعجز عن كونه الواجب من حقه تعالى.
- أعود بك من شر ما صنعت: أي من الشر العائد من الذنوب.
- أبوء: أعترف.

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - هذا دعاء عظيم جامع لمعاني التوبة والتذلل لله تبارك وتعالى والإنابة إليه، وقد وصفه ﷺ بأنه سيد الاستغفار؛ وذلك لأنه قد فاق سائر صيغ الاستغفار في الفضيلة، وعلا عليها في الرتبة.
- ٢ - ووجه أفضلية هذا الدعاء على غيره من صيغ الاستغفار: أن النبي ﷺ بدأه بالثناء على الله تعالى، والاعتراف بأنه عبد لله مريبوب مخلوق له عز وجل، وأنه سبحانه المعبود بحق ولا معبود بحق



سواه، وأنه مقيم على الوعد، ثابت على العهد من الإيثار به وبكتابه وبسائر أنبيائه ورسله، وأنه مقيم على ذلك بحسب طوقه واستطاعته، ثم استعاذ به سبحانه من شر كل ما صنع من التقصير في القيام بما يجب عليه من شكر الإنعام وارتكاب الآثام، ثم أقر بترادف نعمه سبحانه وتوالي عطايه ومنه، واعترف بما يصيب من الذنوب والمعاصي، ثم سأله سبحانه المغفرة من ذلك كله، معترفاً بأنه لا يغفر الذنوب سواه سبحانه. وهذا أكمل ما يكون في الدعاء، ولهذا كان أعظم صيغ الاستغفار وأفضلها وأجمعها للمعاني الموجبة لغفران الذنوب^(١).

٣- أنواع الشرور المستعاذ منها لا تخلو من قسمين: إما شر وقع به من غيره، وإما ذنوب وقعت منه يعاقب عليها، فيكون وقوع ذلك بفعله وقصده وسعيه، ويكون هذا الشر هو الذنوب وموجباتها، وهو أعظم الشرين، وأدومهما، وأشرهما اتصالاً بصاحبه. والذنوب التي يستعيذ منها بهذا الحديث الشريف: هي من فعل العبد وقصده، فهو يستعيذ من شرها؛ لأنها موجبة للعقاب وللعقوبة إلا أن يعيده ربه، ويغفر له، ويرحمه، وأقوى سبب لمنع شرها: التوبة النصوح^(٢).

٤- وفي الحديث دليل على أن المقاصد لا ينبغي أن تطلب إلا بوسائلها الصحيحة، وأسبابها الموصلة، أما التعلل بالخرافات، والبدع، والتوسلات الشركية والبدعية، فهي لا تزيد الإنسان من ربه إلا بعداً^(٣).

● سؤال العافية وأهم ما يستعاذ منه :

● قال الله تعالى: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥، ٥٦].
إِصْلَاحَهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا بَاطِنًا فَوْقَكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ بِشْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [٧] وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿

[المؤمنون: ٩٧، ٩٨].

(١) فقه الأذعية والأذكار (٣ / ١٥).

(٢) المرجع السابق (٧ / ٥٦٤).

(٣) المرجع السابق (٧ / ٥٦٤).

وقال الله تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ١-٥].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَهِ النَّاسِ ۝٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٦].

١٥٦٠ - عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُ هُوَ لِأَيِّ الْكَلِمَاتِ حِينَ يُمَسِّي وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي دِينِي، وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي، وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمَنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»، أخرجه النسائي وابن ماجه، وصححه الحاكم. [صححه النووي في الأذكار (١٨٣)].

١٥٦١ - وعنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ»، أخرجه مسلم.

١٥٦٢ - وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلْبَةِ الدِّينِ، وَغَلْبَةِ العُدُوِّ، وَسَهْمَةِ الأَعْدَاءِ»، رواه النسائي، وصححه الحاكم. [إسناده ضعيف].

التوضيح:

- اللهم إني أسألك العافية: أي السلامة من الآفات الدينية والشدائد والأسقام والبلايا الدنيوية.
- اللهم استر عوراتي: أي: عيوبي، والعورة: سوءة الإنسان وكل ما يستحي منه إذا ظهر، ويسوء صاحبه أن يرى ذلك منه.
- وآمن روعاتي: جمع روعة وهي الفرعة، والمعنى: اجعل خوفي أمناً وأبدله به.
- اللهم احفظني: أي: ادفع البلاء عني.
- من بين يدي: أي أمامي.
- أن أغتال: أي: أؤخذ بغتة، وأهلك غفلة من تحتي.
- زوال نعمتك: أي: ذهابها.
- وتحوّل عافيتك: أي: تبدلها.
- وفجاءة نقتك: أي بغتة غضبك.



- وجميع سخطك: أي: سائر الأسباب الموجبة لذلك، وإذا انتفت حصلت أصدادها.
- غلبة الدّين: ثقله وشدّته؛ وذلك حيث لا قدرة على وفائه سيما مع الطلب.
- وشماتة الأعداء: فرحهم ببليّة تنزل بعدوهم.

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - في الحديث الأول بدأ النبي ﷺ ذاك الدعاء العظيم بسؤال الله العافية في الدنيا والآخرة، والعافية لا يعدلها شيء، ومن أعطي العافية في الدنيا والآخرة فقد كمل نصيبه من الخير، فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اسألوا الله العفو والعافية، فإن أحدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية»^(١).
- ٢ - العافية هي تأمين الله لعبده من كل نقمة ومحنة، بصرف السوء عنه ووقايته من البليات والأسقام وحفظه من الشرور والآثام، وفي الدين هي الوقاية من كل أمر يشين الدين أو يخل به.
- ٣ - قوله في الحديث الثاني: «اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك»: أي: ذهاب نعمك الدينية والدينية النافعة في الأمور الأخروية من غير بدل. والاستعاذة من زوال النعم تتضمن الحفظ عن الوقوع في المعاصي؛ لأنها تزيلها؛ ألا ترى إلى قول الشاعر:
إذا كنت في نعمة فارعها... فإن المعاصي تزيل النعم
وقال الشوكاني: (استعاذ رسول الله ﷺ من زوال نعمته؛ لأن ذلك لا يكون إلا عند عدم شكرها، وعدم مراعاة ما تستحقه النعم، وتقتضيه من تأدية ما يجب على صاحبها من الشكر والمواساة، وإخراج ما يجب إخراجه).
- ٤ - قوله: «وتحول عافيتك»: أي: تبدلها بالبلاء. قال القاري: (فإن قلت: ما الفرق بين الزوال والتحول؟ قلت: الزوال يقال في شيء كان ثابتاً لشيء ثم فارقه، والتحول: إبدال الشيء بالشيء، فمعنى زوال النعمة: ذهابها من غير بدل، وتحول العافية: إبدال الصحة بالمرض، والغنى بالفقر، فكأنه سأل دوام العافية، وهي السلامة من الآلام والأسقام، واستعاذ من ذلك؛ لأن من اختصه الله سبحانه بعافيته فاز بخير الدارين، فإن تحولت عنه، فقد أصيب بشر الدارين، فإن العافية يكون بها صلاح من أمور الدنيا والآخرة).

(١) رواه الترمذي (٣٥٥٨) واللفظ له، وأحمد (٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٣٢).

٥ - قوله: «وفجاءة نقتمك» قال القاري: (هي المكافأة بالعقوبة، والانتقام بالغضب والعذاب، وخص فجاءة النعمة بالذكر؛ لأنها أشد من أن تصيب تدريجاً، واستعاذ ﷺ من ذلك من حيث لا يكون له علم به، ولا تكون له فرصة ومهلة للتوبة؛ لأنه إن انتقم الله تعالى من العبد؛ فقد أحل به من البلاء ما لا يقدر على دفعه، ولا يستدفع بسائر المخلوقين وإن اجتمعوا جميعاً).

٦ - وقوله: «وجميع سخطك» أي: ما يؤدي إليه، يعني سائر الأسباب الموجبة لذلك. وإذا انتفت أسبابها حصلت أضرارها، وهو إجمال بعد تفصيل وتعميم بعد تخصيص، أو المراد جميع آثار غضبك، واستعاذ ﷺ من جميع سخطه؛ لأنه سبحانه إذا سخط على العبد فقد هلك وخاب وخسر، ولو كان السخط في أدنى شيء وبأيسر سبب^(١).

٧ - الدَّين إذا غلب يسبب الهم والغم، ويكون صاحبه في قلق وتعب بدني وقلبي وفكري، وهذا هو ما استعاذ منه النبي ﷺ؛ لأن حقوق الأدميين مبنية على الشح. ولذا استعاذ النبي ﷺ من المغرم وهو الدين، وقال ﷺ مبيناً آثار الدين السيئة، وعواقبه الوخيمة: «إن الرجل إذا غرم، حدث فكذب، ووعد فأخلف» متفق عليه^(٢).

٨ - وأما شماته الأعداء، فهي فرح العدو بضر أو بلية نزلت بعدوه، قال ابن بطال: (شماته الأعداء ما ينكأ القلب، وتبلغ به النفس أشد مبلغ، وقد قال هارون لأخيه عليهما السلام: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِتِ الْأَعْدَاءِ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، أي: لا تفرحهم بما تصينني به^(٣).

٩ - قال الشوكاني: (استعاذ ﷺ من شماته الأعداء وأمر بالاستعاذة منها؛ لعظم موقعها، وشدة تأثيرها في الأنفس البشرية، ونفور طباع العباد عنها، وقد يتسبب عن ذلك تعاظم العداوة المفضية إلى استحلال ما حرّمه الله سبحانه وتعالى. وإنما تعوّد النبي ﷺ من ذلك تعليماً لأُمَّته؛ فإن الله تعالى آمنه من جميع ذلك). قال الحافظ: (ولا يتعيّن ذلك، بل يُتّهم أن يكون استعاذ بربه من وقوع ذلك بأتمته^(٤)).

(١) مرعاة المفاتيح (٨/ ٢٢١)

(٢) توضيح الأحكام (٧/ ٥٧٠).

(٣) سبل السلام (٤/ ٢٢١).

(٤) مرعاة المفاتيح (٨/ ٢١٤).

الدعوات الجامعة :

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [٢٠١، ٢٠٢].
 وقال الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

١٥٦٣ - عن أنس رضي الله عنه قال: كَانَ أَكْثَرَ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»، متفق عليه.

١٥٦٤ - وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي، وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي، وَهَزْلِي، وَخَطِيئَتِي، وَعَمْدِي، وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، متفق عليه.

١٥٦٥ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»، أخرجه مسلم.

التوضيح:

- ربنا آتنا في الدنيا حسنة: يعني الصحة والكفاية والعفاف والتوفيق.
- وفي الآخرة حسنة: يعني الثواب والرحمة.
- أنت المقدم: أي: تقدم من تشاء من خلقك، فيتصف بصفات الكمال، ويتحقق بحقائق العبودية بتوفيقك.
- وأنت المؤخر: لمن تشاء من عبادك بخذلانك، وتبعيدك له عن درجات الخير.
- ديني الذي هو عصمة أمري: أي: الذي هو حافظ لجميع أموري؛ فإن من فسد دينه فسدت أموره وخاب وخسر.



الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

- ١ - قوله: «كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ»: وذلك لكونه دعاء جامعاً، ولكونه مقتبساً من القرآن، وجعل الله داعيه ممدوحاً.
- ٢ - قوله: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً»: أي: قبل الموت حسنة، وهي كل ما يسمى نعمة، ومنحة عظيمة، وحالة مرضية.
- ٣ - قوله: «وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً»: أي بعد الموت مرتبة مستحسنة، وقيل: المراد بالحسنة كل ما يعطاه العبد في الدنيا مما يلائم طبعه من العيشة الطيبة، والغنى، والعافية، والمرأة الحسنة، وغير ذلك مما تشتهيهِ الأنفس، وتلذ الأعين من المباح والحلال، وكذلك كل ما يعطاه في الآخرة، يكون حسنة بلا واسطة أو بواسطة.
- ٤ - قوله: «وقنا عذاب النار»: أي: احفظنا منه وما يقرب إليه، فإن صدر منا ما يوجبه من التقصير والعصيان؛ فاعف عنا، وقنا عذاب النار.
- ٥ - قال القاضي عياض: (إنما كان يكثر الدعاء بهذه الآية لجمعها معاني الدعاء كلها من أمر الدنيا والآخرة، فسأل نعيم الدنيا والآخرة، والوقاية من العذاب). وقال ابن كثير في تفسيره: (جمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا، وصرفت كل شر؛ فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية، ودار رحبة، وزوجة حسنة، وولد بار، ورزق واسع، وعلم نافع، وعمل صالح، ومركب هنيئ، وثناء جميل، إلى غير ذلك، مما اشتملت عليه عبارات المفسرين، ولا منافاة بينها، فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا. وأما الحسنة في الآخرة؛ فأعلى ذلك دخول الجنة، وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات، وتيسير الحساب، وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة. وأما النجاة من النار، والوقاية من عذابه، فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم والآثام، وترك الشبهات والحرام^(١)).
- ٦ - قوله في حديث أبي موسى: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو»: قال الحافظ: (لم أر في شيء من طرقه محل الدعاء بذلك، وقد وقع معظم آخره في حديث ابن عباس أنه ﷺ كان يقوله في صلاة الليل، ووقع أيضاً في حديث عليٍّ عند مسلم أنه كان يقوله في آخر الصلاة).

(١) مرقة المفاتيح (٨/ ٢٥٠).

٧ - وأما حديث أبي هريرة، فقد تضمن الدعاء بخير الدارين، وليس فيه دلالة على جواز الدعاء بالموت، بل إنما دلّ على سؤال أن يجعل الموت في قضائه عليه، ونزوله به راحة من شرور الدنيا، ومن شرور القبر؛ لعموم «كل شر» أي: من كل شر قبله وبعده (١).

٨ - جمع النبي ﷺ في الحديث تلك الثلاثة: صلاح الدنيا والدين والمعاد، وهي أصول مكارم الأخلاق التي بعث لإتمامها. قال الطيبي: وهذا الدعاء من جوامع الكلم (٢).

سؤال العلم والخير:

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ رَبَّكَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

١٥٦٦ - عن أنس رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلَّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَارْزُقْنِي عِلْمًا يَنْفَعُنِي»، رواه النسائي والحاكم. [إسناده ضعيف].

١٥٦٧ - وللترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه نحوه، وقال في آخره: «وَزِدْنِي عِلْمًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ». وإسناده حسن. [ضعفه المنهاوي في كشف المناهج (٢/٣٤٨)، والألباني في ضعيف الجامع برقم: (١١٨٣)].

١٥٦٨ - وعن عائشة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَّمَهَا هَذَا الدُّعَاءَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَادَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ مِنْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا»، أخرجه ابن ماجه، وصححه ابن حبان والحاكم.

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

١ - في حديث أنس وحديث أبي هريرة دليل على أنه لا يطلب من العلم إلا النافع، والنافع: ما يتعلق بأمر الدين والدنيا، فيما يعود فيها على نفع الدين (٣).

(١) سبل السلام (٤/٢٢٣).

(٢) فيض القدير (٢/١٧٣).

(٣) سبل السلام (٤/٢٢٤).



- ٢ - قوله: «اللهم انفعني بما علمتني» أي: بالعمل بمقتضاه خالصاً لوجهك.
- ٣ - وفيه إشارة إلى طلب الزيادة في السير والسلوك إلى أن يوصله إلى مخدع الوصال، فظهر من هذا أن العلم وسيلة إلى العمل وهما متلازمان. ومن ثم قيل: ما أمر الله ورسوله ﷺ بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم بقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وهذا من جامع الدعاء الذي لا مطمع وراءه.
- ٤ - قوله: «الحمد لله على كل حال»: من أحوال السراء والضراء، فيحمده تعالى لكونه لم ينزل به أشد من هذا البلاء الذي نزل به، وكم يترتب على الضراء من عواقب حميدة، ومواهب كريمة يستحق الحمد عليها: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].
- ٥ - وقوله: «وأعوذ بالله من حال أهل النار»: أي من الكفر والفسوق في الدنيا، والعذاب والعقاب في العقبى (١).
- ٦ - وأما حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقد تَضَمَّنَ الدعاء بخيري الدنيا والآخرة، والاستعاذة من شرهما، وسؤال الجنة وأعمالها، وسؤال أن يجعل الله كل قضاء خيراً، وكأن المراد سؤال اعتقاد العبد أن كل ما أصابه خير، وإلا فإن كل قضاء قضى به خير؛ وإن رآه العبد شراً في الصورة.
- ٧ - وفيه أنه ينبغي للعبد تعليم أهله أحسن الأدعية؛ لأن كل خير ينالونه، فهو له، وكل شر يصيبهم، فهو مضرة عليه (٢).
- ٨ - والحديث من جوامع الكلم والدعاء، وأحب الدعاء إلى الله وأعجبه إليه الجوامع. قال الراغب: (وفيه تنبيه على أن حق العاقل أن يرغب إلى الله أن يعطيه من الخير ما فيه مصلحته مما لا سبيل بنفسه إلى اكتسابه، وأن يبذل جهده مستعيناً بالله في اكتساب ما له كسبه عاجلاً وآجلاً، ومطلقاً، وفي كل حال وفي كل زمان ومكان، والخير المطلق هو المختار من أجل نفسه، وهو الذي يتشوفه كل عاقل).
- ٩ - قوله: «اللهم إني أسألك من خير ما سألك...» إلخ قال الحليمي: (هذا من جوامع الكلم التي استحَبَّ الشارع الدعاء بها؛ لأنه إذا دعا بهذا، فقد سأل الله من كل خير، وتعوذ به من كل شر؛ ولو اقتصر الداعي على طلب حسنة بعينها، أو دفع سيئة بعينها، كان قد قصر في النظر لنفسه).

(١) مرعاة المفاتيح (٨/ ٢٦٠).

(٢) سبل السلام (٤/ ٢٢٤).

١٠- قوله: «وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيرًا»: لا يعارضه قوله ﷺ: «عجبًا للمؤمن، لا يقضي الله له قضاء إلا كان له خيرًا»؛ لأن المراد هنا طلب دوام شهود القلب: أن كل واقع فهو خير، وينشأ عن ذلك الرضا، ومن جعل الرضا غنيمته في كل كائن من أوقاته - وافق النفس أو خالفها - لم يزل غائبًا بما هو راضٍ بما أوقع الله له، وأقام من حكمته: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨]، ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: ٧] (١).

• الذكر عمل يسير وأجر عظيم:

١٥٦٩- أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ».

الدلالات الإيمانية والمقاصدية:

١ - ختم المؤلف كتابه بحديث «كلمتان خفيفتان على اللسان...»، وهو آخر حديث ختم به البخاري صحيحه، وتبعه جماعة من الأئمة في ختم تصانيفهم بهذا الحديث.

٢ - وفي الحديث بيان لشيء مما ورد في فضل التسبيح والتحميد، وقد وصفت الكلمتان في الحديث بثلاثة أوصاف جميلة عظيمة، وهي أنها حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان.

٣ - خصَّ لفظ الرحمن بالذكر هنا؛ لأن المقصود من الحديث بيان سعة رحمة الله تعالى على عباده حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الجزيل، والأجر العظيم، فما أيسر النطق بهاتين الكلمتين على اللسان! وما أعظم أجر ذلك وثوابه عند الكريم الرحمن! وقد وصفت الكلمتان في الحديث بالخفة والثقل، الخفة على اللسان والثقل في الميزان، لبيان قلة العمل وكثرة الثواب. فما أوسع فضل الله، وما أعظم عطاءه!! (٢).

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى آله وأزواجه وذريته وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.



(١) فيض القدير (٢/ ١٦١-١٦٢).

(٢) فقه الأدعية والأذكار (١/ ٢٠٩).